الأثر القرآني في شعر ابن جَابر الأندلسي(ت ٧٨٠هـ)

د. أحمد بن عيضة الثقفي
كلية الآداب – جامعة الطائف

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة الأثر القرآني في شعر ابن جابر الأندلسي ت ٧٨٠هـ على مستوى المفردة ، والتركيب ، والفكرة ،والإشارة ، والقصة ، معتمدا في ذلك منهجا استقرائيا تحليليا.

حاول البحث التقاط الأثر القراني في نصوص الشاعر ، وكيف وظَّفه في شعره ، والكشف عن الدلالات الجديدة الناتجة عن ذلك التوظيف سواء أكان التوظيف لفظيا ، أم تركيبيا ، أم معنىً قرآنيا ، أم قصةً قرآنية ، أم إشارة إلى المقصود إيماءً ؛ لتتبين لنا من خلال ذلك ثقافة الشاعر الدينية عامةً والقرآنية خاصةً ، وكيف استثمر ذلك كلّه في بيان تجربته الشعرية وإثراء نصه الشعري.

The Quranic Influence on the Poetry of Ibn Jaber Al-Andalusi

Using an analytical deductive approach, this paper explores the Quranic influence on the poetry of Ibn Jaber Al-Andalusi (died ٧٨٠ AH), either in terms of borrowed vocabulary, structure, theme, allusion, or allegory.

The paper attempts to trace the Quranic influence in Ibn Jaber's poetic output in order to see how such borrowings were utilized poetically and what new significance they acquired. The end goal of the paper is not only to unearth the roots of the poet's religious education but also to see how such education found expression and enriched the poet's artistic experience.

اسمه ونسبه وكنيته :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر (١) ، وقد لُقِّب بالأعمى ، والضرير ، الهواري.

ولادته ووفاته :

وُلِد ابنُ جابر في الأندلس في مدينة " المَرِيَّة almeria " عام ٦٩٨هـ ، وتوفي عام ٧٨٠هـ بالبيرة(٢) شرق عنتاب على الفرات(٣).

رحلته إلى المشرق :

تعلَّم أول حياته بمدينة المَرِيَّة ، وأخذ عن شيوخها ، قرأ القرآن والنَّحو على ابن يعيش ، والفقه على محمد بن سعيد الرُّندي ، وسمَّع صحيح البخاري على الزواوي ، ثم غادر في طلب العلم مع رفيق عمره أبي جعفر الرُّعيني الغرناطي في شبابهما إلى مصر ، وعُرفا بالأعمى والبصير ، ثم غادراها إلى دمشق عام ٧٤١هـ ، وسمعا عن شيوخها ، ثم انتقلا إلى حلب عام ٧٤٣هـ ، وأقاما فيها ، وسمعا ودّرسا، وحجّا منها مراراً ، ونُسب إليهما مسجد (طغرل) في محلة باب قنسرين ، والذي بُني زمن ملك حلب الملك العزيز محمد حفيد صلاح الدين الأيوبي عام ٦١٧هـ ، فقيل عنه مسجد النُّحاة ، ولكنهما افترقا قبل موتهما ؛ لأن ابن جابر تزوج بمدينة البيرة شرق عنتاب ، وسكن فيها ، وكان له فيها بيت معروف على الفرات ، وبعد ذلك توفي أبو جعفر في حلب ٧٧٩هـ ، فرثاه ابن جابر رثاءً صادقاً بقصيدةٍ طويلة، منها:

لَقَدْ عَزَّ مَفْقُودٌ وجَلَّ مُصَابُ ** فلِلَّحْدِ من حُمرِ الدُّموعِ خِضَابُ

ثم تبعه إلى دار الخلود عام ٧٨٠هـ (٤) .

كان إماماً عالماً فاضلاً بارعاً أديباً أُمَّةً في النحو ، له النظم والنثر البديعان، له بديعية " الحلة السيرا في مدح خير الورى (٥) " وله كتب جليلة ومفيدة في اللغة والنحو والعروض ، حيث شرح ألفية ابن مالك ، وابن معطٍ ، له ديوانٌ كامل في مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – أسماه " نظم العقدين في مدح سيد الكونين (٦) . وقد جمع شعره الدكتور أحمد فوزي الهيب في كتاب " شعر ابن جابر الأندلسي ، وهو الديوان الذي قامت عليه دراستي ، كما مدح الملك الصالح بمدائح جمعها في ديوان " المقصد الصالح في مدح الملك الصالح " (٧) .

يُعد القرآن من أهم المصادر التي يستقي منها الشاعر المسلم معانيه ، وتراكيبه ، فهو المعين الذي لا ينضب فصاحةً ، وبلاغةً ، وبياناً ، يلجأ إليه المبدعون للرقي بإبداعاتهم شكلاً ومضمونًا .

أكثر شاعرنا – كغيره من الشُّعراء – من الاتكاء على معاني القرآن ، وتراكيبه ، وهذا دليل التزامه ، واستقامته ، وثقافته الدينيَّة ، وقد كان تأثره بالقرآن الكريم من خلال ذكره لجزء من

الآية صريحاً، أو الإشارة المباشرة إليها ، أو بإيراد ألفاظ قرآنيةٍ معينةٍ تستدعي السياق الذي جاءت فيه ، كما كان متأثراً بالقصة القرآنية ، والمعاني التي تستدعي آيات قرآنية معينة ، يتم من خلال ذلك نقل المتلقي إلى أجواء النص القرآني العظيم .

- **توظيف الآية القرآنية أو جزء منها :**

اقتبس ابن جابر كثيراً من الآيات القرآنية ، ورصّع بها شعره ، ووظفها في تجربته ، في أغراضٍ مختلفة ، والاقتباس لغةً : مشتق من الفعل " قَبَسَ" ، والقَبَسُ : النَّار ، .. واقْتَبَسْتُ مِنْهُ عِلْمَاً – أيضاً – استفدته " (٨) ، وفي اصطلاح البلاغيين هو " أن يُضمَّن الكلامُ شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنَّه منه " (٩) .

يندرج هذا الفعل الإبداعي تحت ما يعرف في النقد الحديث بالتناص "Intertextuality" ، فهو شكلٌ من أشكال تقاطع النصوص ، وتداخلها ، وتفاعلها " (١٠) .

والاقتباس نوعان : حرفي ، وإيحائي ، فالحرفي أو النَّصي ، تضمين الشعر آيةً قرآنيةً بلفظها وتركيبها دون تغيير أو تحوير (١١) . وهذا النوع من الاقتباس له حضوره في شعر ابن جابر ، من ذلك قوله ناصحاً (١٢) :

يـا صَـاحبَ المـالِ ألَـمْ تَسْـتَمِعْ ** لِقَولِـهِ مَـا عِنْـدَكُمْ يَنْفَـدُ

فاعْمَـلْ بِـهِ خَيْـراً فـو اللهِ مَـا ** يَبْقَـى ولا أَنْـتَ بِـهِ مُخْلَـدُ

فهو يقتبس الآية الكريمة " مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ "(١٣) مبيناً حقيقة المال الذي لابد أن ينفد ، وناصحاً صاحبه بالإنفاق ، وأن صاحبه لن يخلد في هذه الدنيا ، فالتصرف الصحيح أن يُنفق منه في سبيل الله ؛ لينفع صاحبه في الآخرة .

ويصف الصحابة – رضي الله عنهم – قائلاً : (١٤)

هُـمُ جَاهَـدوا فـي اللهِ حَـقَّ جهَـادِهِ ** وقاموا بنَصْرِ الدِّين فـي كُـلِّ مَشْـهَدِ

اقتبس هذا من الآية " وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" (١٥) من خلال هذا الاقتباس يبين امتثال الصحابة – رضي الله عنهم – لأوامر الله – تعالى – وأنهم جاهدوا حق الجهاد كما طلب ذلك الله منهم .

وقال واصفاً رحلته وزيارته للمدينة المنورة والتوجه إلى مكة للحج (١٦) :

شَـدَدْنا عُقُـودَ العَـزْمِ مِنّـا لِتَوبَـةٍ ** تَعُودُ لنا من غَافِرِ الذَّنْبِ بالبُشْرى

اقتبس في بيته هذا جزءًا من الآية الكريمة " غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ " (١٧)

اقتبس هذا المعنى ووظفه في تجربته الشعرية ، فالموقف متلائم مع هذا المعنى ، فالمكان المدينة والتوجه لمكة والنية الحج ، الذي يعود منه صاحب الحج المبرور مغفور الذنوب تائباً، صالحةً حاله ، طالباً القبول لتلك التوبة والبشرى ممن يغفر الذنوب.

ويتحدث عن وصولهم بدر ، قائلاً ([١٨]) :

وما زال بين الماءِ والظِّلِّ سَيرُهم ** إلى أنْ تولَّى يومُهم فَرأوا بَدْرا

وبالعُدْوةِ الدُّنيا نَزَلْنَا بحيث قَدْ ** أقَامَ رسُولُ اللهِ ينْتظِرُ النَّصْرا

لا يزال في رحلته إلى مكة مفصلاً ذلك ذاكراً الأماكن التي مرَّ بها ، وفي هذه الأبيات يذكر بدراً ، والعدوة الدنيا مقتبساً قول الله تعالى : " (إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى)([١٩]) مبيناً التعلق الروحي بكل ماله علاقة بالسّلف الصالح لاستحضار التاريخ ، وعبق المكان ، ورائحة النّصر، وترك الخيال يسبح في الذكريات .

في قصيدته مدحيةٍ نبويةٍ يتحدث عن معانٍ عظيمةٍ ، وعن صفات الرسول – صلى الله عليه وسلم – مُورِّيا بأسماء السور القرآنية ، وموظفاً معانيها مما جعله يذكر بعض بدايات تلك السور مشيراً إلى المعنى ، يقول في ذلك([٢٠]) :

" **قَدْ أَفْلَحَ([٢١]) النَّاسُ " بالنُّورِ" الذي ** مِنْ نُورِ " فُرْقَانِهِ" لمَّا جَلا غُرَرَهْ**

ثم يذكر السور متتابعة حتى يقول :

كفٌّ " يسبِّحُ للهِ " ([٢٢]) " الطَّعَامُ بها ** فاقْبَلْ " إذا جاءكَ " الحقُّ الذي نَشَرَهْ

حتى يقول :

(والليلُ) ، مثل " الضُّحى " إذ لاح فيه (أَلَمْ ** نَشْرَحْ)(٢٣) لكَ القولَ في أخبارِهِ العَطِرَهْ

فهو يقتبس أول جزء من الآية الأولى ؛ ليدل على السورة موظفا ذلك المقتبس في نسج الكلام وجنسه جاعلاً ذلك منه .

ومن اقتباساته ، قوله متغزلاً "([٢٤]) :

في خَدِّها شَبَهٌ للخالِ أو شِيَهٌ ** بما حوى الحُسْنُ من ألْطَافِ أسْرَارِ

وشْيٌ من الحُسْنِ لمْ يَحْتَجْ لِصُنْعِ يَدٍ ** تَبَارَكَ اللهُ هذي صَنْعَةُ البَاري

فالشاعر يقتبس في البيت الثاني من الآية الكريمة ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " ([٢٥]) وظّف المعنى وبين مقدار الجمال ، ثم بنى الألفاظ لمعنىً مقصود " البارى " ، وما فيها من إبداع وتمييز للأشياء عن غيرها بمقدار ، وحكمة ، وتفاصيل ، وهو أخص من " الخالق " ، وهذا الحسن مما امتازت به عن غيرها من النساء ، وفي ذلك إشارة – أيضا– وتوظيف لقوله تعالى :" صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ"([٢٦]).فابن جابر وظَّف معنيين قرآنيين في بيت شعر ، وذلك لتأثره بالمعاني القرآنية وسيطرتها على فكره ، وامتزاج إبداعه بها .

ويتحدث عن العاذل ، قائلاً ([٢٧]) :

قَدْ زَعَمَ العَاذِلُ لِيْ أنَّهُ ** يُهدي لِيَ الرّشدَ بما يَصْنَعُ

ما هو هَادٍ لِيْ ولكِنَّهُ ** هَاذٍ فَسَمْعِي قَالَ : لا تَسْمَعوا

بين زعم عذل العاذل ، وأنّه له من الناصحين ، ثم بين الشاعر حقيقة نصحه ، وأنه هاذ لا فائدة من كلامه ، ثم وظف كلمة " لا تسمعوا " مبيناً أن هذا الكلام الذي يقوله لا فائدة فيه ، وهذا الموقف اقتباس من قوله تعالى " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ " (٢٨) " فجملة " لا تسمعوا " اختزلت الموقف ، فكلام العاذل لا يسمع حتى تكون الغلبة للعاشق . ففي الصورتين متحدث يتحدث ، وناصح ينصح والمتلقى في الصورتين لا يريد أن يستمع لأنه يرى أن الحق معه مع بطلان كلام الطرف الأول .

ويتحدث عن الأنصار – رضي الله عنهم – ، قائلاً(٢٩) :

وساعَدتْهُم من الأنْصارِ طائِفَةٌ ** بهم غدا الشِّرك قدماً وهو مخْذولُ

تبوَّؤوا الدَّارَ والإيمَانَ واجْتَهَدوا ** أنْ لا يكون لِدينِ اللهِ تَبْدِيلُ

اقتبس المعنى من قوله تعالى : " وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (٣٠) ، فالشاعر يؤكد ما امتاز به الأنصار – رضوان الله عليهم – من صفات حسنة ، والدار والإيمان من أبرز صفاتهم التي كان أثرها واضحاً في نفوس المهاجرين – رضي الله عنهم أجمعين.

ويتحدث عن نتيجة التقوى وعاقبتها ، قائلاً : (٣١)

إذا شِئْتَ رِزْقَاً بلا حِسْبةٍ ** فَلُذْ بالتُّقى واتَّبِعْ سُبْلَهُ

وتصْدِيقُ ذلك في قَوْلِهِ ** " وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَّهُ"

يقتبس المعنى في بيته من قوله تعالى : " وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ"(٣٢) ، فالمعنى جاء صريحاً في شعر ابن جابر وكذلك قوله " وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ " جاءت اقتباساً نصياً حرفياً ، والاقتباس جاء في سياق النصح ، واقتباس شيء من القرآن أبلغ موعظةً ، وأكثر تأثيراً في المتلقي ، ويقول (٣٣) :

ذو مِرّةٍ فاسْتوى حَتَّى دَنَا فَرأى ** وقِيْلَ سَلْ تُعْطَ قَدْ خُيِّرْتَ فاحْتَكِمِ

فهذا مقتبس من قوله تعالى : " عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى " ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى " (٣٤) .

وفي مجال النصح يقول (٣٥) :

إنْ شِئْتَ أنْ تَجِدَ العَدوَّ وقَدْ غَدَا ** لكَ صَاحِباً يُولِي الجَمِيْلَ ويُحسِنُ

فاعْمَلْ كَمَا قَالَ الخَبِيْرُ بِخَلْقِهِ ** في قولِهِ " ادْفَعْ بالتي هِيَ أحْسَنُ "

يبين لنا ما ينبغي أن يكون عليه من أراد أن يكفّ أذى عدوه عنه ، مشيراً إلى العلاج والحل القرآني ، وهو الدفع بالتي هي أحسن ، كما في قوله تعالى : " ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ " (٣٦) وقوله تعالى : " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " ([٣٧]) .

ويقول ([٣٨]) :

أَزْكَى صَلاةٍ وسَلامٍ أَبَدَا ** عَلَيْكَ ما ارْتَاحَ الظَّلِيْمُ وارْتَعَى

وسَبَّحَ الرَّعْدُ بِحَمْدِ مَنْ سَقَى ** صَوْبَ الحَيَا فَقَالَ لِلأَرْضِ لَعَا

في البيت الثاني اقتباس وإشارة إلى قوله تعالى : " وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ " ([٣٩])

- **الإشارة إلى المعاني القرآنية :**

أورد ابن جابر مجموعةً من المعاني القرآنية التي إذا ذُكرت فاستدعت أيةً قرآنيةً إيحاءً ، وإشارةً ، دون التزام باللفظ والتركيب ليتم توظيفهما لخدمة تجربته الشعرية ، ورؤيته الفكرية ، وهذا كثيرٌ في شعر ابن جابر الأندلسي ، من ذلك حديثه عن انشاق القمر ، وأنّه آية ومعجزةٌ أيّد اللهُ بها صدق رسالة رسوله – صلى الله عليه وسلم _، يقول ابن جابر في ذلك ([٤٠]):

والشَّمْسُ بَعْدَ غُرُوبِهَا رُدَّتْ لَهُ ** والبَدْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ شُقَّ وأُفْرِجَا

ويقول في موضع آخر ([٤١]) :

وبالقَمَرِ المُنْشَقِّ كَمْ غَاظَ حَاسِدَاً ** ومَا سَلّموا حَتَّى أَنَالَهُمُ حَصْدا

ويقول ([٤٢]) :

وشَقّ على أعْدَائه أنَّ ربَّهُ ** لتعجزِهم بَدْر السَّماءِ لَهُ شَقّا

ويقول ([٤٣]) :

أَلَيْسَ انْشِقَاقُ البَدْرِ كَانَ لأَجْلِهِ ** فَشق على نَفْسِ الشّقيِّ المُذللِ

ويقول ([٤٤]) .

والشَّمسُ رُدَّتْ وبدْرُ الأفقِ شُقَّ لَهُ ** والنَّجمُ أيْنع مِنْهُ كُلُّ مُنْحَطِمِ

ويقول ([٤٥]) :

والبدْرُ أبْقى بمرآه ليعلمنا ** بالانشقاقِ لَهُ آثَار مُنْثَلِمِ

هذا المعنى ، وهذه المعجزة تتكرر – كما سبق– في شعر ابن جابر وتحيلنا إلى الآية الكريمة " اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ " ([٤٦]) مبيناً عِظَم نبيه – صلى اللهُ عليهِ وسلَّم – وتأييد الله له ، وعظم تلك المعجزة .

كما يتحدث عن معجزة أخرى وتأييد آخر له من ربه ألا وهو التأييد له – عليه الصلاة والسلام – بالملائكة في معركة بدر ، حيث يقول ([٤٧]) :

تلا الفَتْحُ من بَعْدِ القِتَالِ وكَيْفَ لا ** وقَدْ كَانَ أَمْلاكُ السَّماءِ لَهُ جُنْدَا

وهذا يستدعي قوله تعالى عن معركة بدر : " وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ"([٤٨]) . وفي هذا بيان لمكانته – عليه الصلاة والسلام – وتأييد الله له في تبليغ رسالته، وفي النصر على أعدائه ، وفي البيت ملمح من حيث الإشارة إلى ترتيب سور القرآن ، فسورة " محمد" – صلى الله عليه وسلم – تُسمَّى سورة "القتال" ، وقد جاءت بعدها سورة "الفتح" .

ومن المعاني المشار إليها الاهتداء بالنجوم، يقول في ذلك ([٤٩]):

وقَـــالَ رَسُـــولُ اللهِ فِـــيْهِمْ مُمَـــثِّلا ** لَهُـمْ بـالنُّجُومِ الزُّهْـرِ هَـدْيٌ لِمُقْتَـدي

أَلَا إنَّ أَصْـحَابي نُجُـومٌ مَـنْ اقْتَـدَى ** بِهِمْ فِـي سَبيْلِ العِلْمِ والحِلْمِ يَهْتَدي

وهذا الوصف الذي دلّ عليه الحديث الشريف ([٥٠])، ويستدعي قوله تعالى : " وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ "([٥١]) كما بيَّن مكانتهم وما نالوه من الرضا والشهادة لهم بالجنة ، قائلاً ([٥٢]) :

وبالجَنَّـــةِ العُلْيـــا شَـــهَادته لَهُـــمْ ** وإنْ تَسْـأل القُـرْآنَ بـالقوم يَشْـهَدِ

وهذا الوصف يحيلنا إلى قوله تعالى : " مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " .([٥٣])

ويتحدث شاعرنا عن الفاروق عمر – رضي الله عنه–في موافقة الوحي لآرائه، قائلاً([٥٤]):

وحسْـــبُك أنَّ اللهَ وافـــق رأيَـــهُ ** لدى يومِ بدرٍ إذْ رأى قتلَ مَنْ فُدِي

كـذا فـي أذانٍ والحجـابِ وجعلِهـم ** مُصـلىً مقامـاً للخليـلِ بمَسْـجِدِ

يشير في البيت الأول إلى رأي عمر بن الخطاب في أسرى بدر، حين قال : " يا رسول الله كذبوك وأخرجوك نضرب أعناقهم .. " ([٥٥]) .

فكان رأي الفاروق قتلهم ، فجاء التأييد لذلك الرأي قرآناً ، قال تعالى : " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".([٥٦])

وأما الحجاب فقال عمر– رضي الله عنه : " وافقت ربي في أربع ، قلت ، يا رسول الله لو صليت خلف المقام ؛ فنزلت هذه الآية : " وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى "، وقلت : يا رسول الله ، لو ضربت على نسائك الحجاب ، فإنه يدخل عليهن البرُّ الفاجر ، فأنزل الله : " وَإِذَا

سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ " ، ونزلت هذه الآية " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ " ، فلما نزلت قلت أنا : " تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " ؛ فنزلت : " فتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " ، ودخلت على أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – فقلت " : لتنتهن أو ليبدلنَّه الله بأزواج خير منكم ؛ فنزلت الآية : " عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ " (٥٧).

وفي البيت الثاني يشير ابن جابر إلى شيئين ورد فيهما قرآن ، هما الحجاب ، في قوله تعالى : " وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ " (٥٨) ، والأمر الآخر اتخاذ مقام إبراهيم مصلى ، في قوله تعالى : " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " (٥٩) .

فإشارة ابن جابر على هذه الصفات العظيمة ، وما امتاز به الفاروق– رضي الله عنه – دليل مكانته في الأمة ، وربط ذلك بكلام الله دليل تأييد وإلهام ، وهذا لا يكون لكثير من الناس ، فقراءة هذه الآيات الكريمات يستدعي ذكر الفاروق ، ومواقفه النبيلة ، والمميزة ، وما فيها من قوةٍ في الحق على الدين والأعراض ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ويتحدث عن اتباع سُنَّةٍ سابقة ، يقول متغزلاً (٦٠) :

مَــنْ سَــنَّ تلــك اللحــاظ فاتّبعــت ** مــن سُــنَّةِ الحُــبِّ كُــلَّ متبّــعِ

وهذا المعنى يستدعي ألفاظاً وردت في قوله تعالى : " سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا"(٦١) ، وقوله تعالى : " ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" ، وهذا المزج دليل وعي الشاعر الذي أخذ الألفاظ الواردة في معنى ، ووظفها في معنىً آخر يتوافق والغرض الذي هو بصدده .

ومن المعاني التي طرقها الشاعر أن النعم بالشكر تبقى ، يقول مذكراً أهل المدينة بوجود الرسول عليه الصلاة والسلام بينهم حياً وميتاً (٦٢) :

بِطَيْبَــةَ مَثْــواكُمْ وأكْــرَمُ مُرسَــلٍ ** يُلاحِظُكُـم فالـدَّهرُ يَجْـري لكـم وفقـا

وكَــمْ نِعْمــةٍ للهِ فيهــا علــيكمُ ** فشـكراً فنُعْمَـى اللهِ بالشُّـكرِ تُسْـتَبْقَى

وهذا استدعاء لقوله تعالى : " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ " (٦٣) ، فشكر الله على سُكنى المدينة نعمة تستحق الشكر ، والشاعر هنا يوظف الآية الكريمة ترغيباً في سكناها ، وتذكيراً بنعم الله الكثيرة ، ومن نعم الله عليهم هذه النعمة .

واستبدال المرء الأمر الحسن بأمر آخر أقل حسناً معنىً جاء في أثناء حديث شاعرنا الموجه لأهل المدينة ، قائلاً في القصيدة ذاتها : (٦٤)

فيَــا راحِــلاً عَنْهَــا لِــدُنْيا يُصِــيْبها ** أتطلـبُ مـا يَفْنَـى وتَتْـرُك مـا يَبْقـي

وهذا المعنى يحيلنا إلى قوله تعالى : " قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ "([٦٥]).

جاء معنى الشاعر في سياق ذم مَنْ يرتحل عن المدينة المنورة ، وينتقل إلى غيرها ، فقد رغبوا عنها إلى غيرها ، والآية تتحدث عن بني اسرائيل مع بني الله موسى – عليه السلام – ورغبتهم في الذهاب إلى مصر طلباً للزرق من البصل والعدس وغيرهما مما هو أقل مما منّ الله عليهم به من المنِّ والسلوى .

ثم يبين لهم أن الرزق مقسوم حتىّ وإن خرجوا من المدينة فما كتبه الله لهم سوف يأتيهم، قائلا "([٦٦]) :

هو الرِّزقُ مقْسُومٌ فليْس بزائدٍ ** ولو سربَ حتىّ كِدْتَ تخترق الأفقا

وهذا المعنى يؤيده الله تعالى– في قوله ([٦٧]) : " نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " ، يشير ابن جابر إلى معانيه بإلماحة خاطفة إلى الآية الكريمة ، والمعنى القرآني ببراعةٍ تخدم تجربته ، وتزيد من فنيَّة النَّصِّ لديه .

تحدث ابن جابر عن إرهاصات البعثة المحمدية ، وما كان من رجم الشياطين بالشهب والنّجوم ، يقول في ذلك([٦٨]) :

وقَدْ طَرَدَ اللهُ الشَّياطين حُرْمَةً ** لَهُ فَنُجومُ الأُفْقِ تَرْشقُهم رشْقا

ويؤكد المعنى في قصيدة أخرى قائلاٍ ([٦٩]) :

ألمْ تَقْذِفِ الجنَ النّجومُ لأجلِهِ ** وهُم عن لحاقِ السّمعِ بَعْدُ بِمَعْزِلِ

في هذين البيتين تأكيد وذكر مباشر لما أورده الله في كتابه ، من ذلك قوله تعالى : " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ " ([٧٠]).

وقوله تعالى :" إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ : ([٧١]) ، وقال تعالى : " إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ" ([٧٢]) " ، فالشاعر في بيتيه يؤكد ما أيّد اللهُ به الرسالة المحمدية من أمور ، من أهمها منع خبر السماء ، فلا يصل منها شيء إلا عن طريق الوحي على رسوله – صلى الله عليه وسلم – وهذا شرفٌ له .

ويذكر معجزته الكبرى وهي القرآن الكريم ، قائلاً([٧٣]) :

وجاءكم بكتابٍ فيهِ مَوْعِظةٌ ** للسَّامعين وتَبْيينٌ وتفْصِيلُ

وهذا المعنى مبثوث في أماكن كثيرة من كتاب الله الكريم ، من ذلك قوله تعالى : " وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ " ([٧٤]) ، وقال تعالى : " مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " ([٧٥]) .

في الآية الأولى حديث عن نبي الله موسى – عليه السلام – وما تضمنته الألواح من موعظة وتفصيل لكل ما يحتاجون إليه ، وفي الآية الثانية يبين الله أن قصة يوسف مع إخوته للعبرة ، وتصديق لنبوته – صلى الله عليه وسلم– وتفصيل ، وهدىً ، ورحمة للمؤمنين ، ومثل هذا قوله تعالى : " وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "(٧٦) ، وقوله تعالى : " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ " (٧٧) فهذه المعاني المتفرقة في آيات كثيرة استطاع الشاعر أن يكثفها ويوجزها في بيت واحد يصف فيه ذلك الكتاب العظيم .

ومن المعاني المكثفة تكذيب المشركين للرسول – صلى الله عليه وسلم – وإخراجه من مكة ، يقول في هذا ابن جابر (٧٨) :

مـا كـان أحْلَمـهُ لقَـدْ خَضَـبوا دَمَـاً ** مِنْـــهُ الجَبـــينَ وكـــذَّبوهُ وأُخْرِجَـــا

وفي هذا إشارة إلى آيتين عظيمتين جاءتا في هذا المعنى ، الأولى قوله تعالى : " قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ " (٧٩) وقوله " أُخرجا" إشارة إلى قوله تعالى : " إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ"(٨٠).

أشار الشاعر إلى الآيتين بقوله " كذبوه " ، " أُخرجا" وبناء الفعل للمجهول للاهتمام به دون فائدة من ذكر الفاعل ، فالفعل قاسٍ مهما كان الفاعل ومهما كانت الدواعي لذلك الفعل.

ومن المعاني المشار إليها مما اتصف به – صلى الله عيه وسلم – أن الله ألّف به قلوب الخلق ممن اتبعه، وهذا أمر يحتاج إلى شكر الله ، يقول في هذا ابن جابر(٨١):

وألَّـفَ مـا بـين القلـوبِ علـى الهُـدى ** فأَضْـحَتْ جميْعـاً لا شَـتاتَ ولا حِقْـدَا

وهذا المعنى يشير إلى قوله تعالى : " هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (٨٢) .

نلحظ أن ابن جابر يحشد كثيراً من الصفات ، والأحداث ، والحقائق التي جاءت في القرآن الكريم ، والسنة النبوية بطريقة الإخبار ، بطريقة مباشرة لا تخدم النص والتجربة الشعرية – غالباً – وإنّما الهدف من إيرادها بيان مكانة الممدوح .

من المعاني التي أوردها ابن جابر في شعره أن الكتب السماوية قد بشَّرت بالرسول – صلى الله عليه وسلم – ، يقول(٨٣) :

نبـيٌّ صِـدقٍ جَمِيـعُ الرُّسـلِ قَـدْ وعَـدتْ ** بـــهِ فمبعثُـــهُ فـــي الكُتْـــبِ مَنْقـــولُ

ويقول عن ذلك في موضع آخر(٨٤) :

فجـــاءَ بِـــهِ إنْجِيْـــلُ عِيْســـى بِـــآخِرٍ ** كَمَـا قَـدْ مَضَـتْ تَـوْرَاةُ مُوسَـى بِـأَوّلِ

لا يزال شاعرنا يذكر صفاته – عليه الصلاة والسلام – وأنه مذكور في الكتب السماوية، وهذا المعنى يستدعي ما ورد في القرآن الكريم صريحاً ، من ذلك قوله تعالى ([٨٥]) : " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " ، وقد قال عبد الله بن سلام لعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – : " أشهد أنَّه رسول الله حق من الله تعالى ، وقد نعته الله في كتابنا ، ولا أدري ما تصنع النساء.. ([٨٦]) ، وقال تعالى على لسان عبده ورسوله عيسى – عليه السلام – " وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ " ([٨٧]) .

ومن المعاني المطروقة في شعره شهادة الرسول – صلى الله عليه وسلم – على أمته، يقول([٨٨]) :

فَـــأَنْتمُ شـــهداءُ اللهِ وهـــو علـــى ** كلِّ شهيدٌ فمهما شئْتمُ طُولوا

وقال ([٨٩]) :

مُقَـفٍّ شَـهِيدٌ صَـادقٌ شـاهدٌ علـى ** جميعِ الورى إنْ قال يُسـمعْ ويُقبلِ

فالشهادة على الأمة معنىً قرآني ، يستدعي بعضاً من آيات الذِّكر الحكيم ، من ذلك قوله تعالى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا"([٩٠]) ، ويقول تعالى: " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا"([٩١]).

كان حديث ابن جابر على شهادة رسول الله على الورى استطراداً في وصف صفاته – صلّى الله عليه وسلم – مما كان في كتاب الله ، أو أشارت إليه السُّنة . ومما جاء وصفه صريحاً في القرآن بعد شهادته على الورى ، وصف رسالته بالشمولية للخلق ، وأنها للناس كافة ، يقول ابن جابر ([٩٢]) :

رسُـــولٌ إلـــى كُـــلِّ الأَنَـــامِ مُؤَيَّـــدٌ ** مـــن اللهِ بـــالنُّورِ المُبـــينِ المُنَـــزَّلِ

ففي قوله " إلى كلِّ الأنام " استدعاء لقوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا([٩٣])، وقال تعالى : " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا " ([٩٤]) ، وفي قوله " من الله بالنور المبين المنزل " إشارة إلى قوله تعالى : " وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ"([٩٥]) وقال تعالى :" فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"([٩٦]).

ويصفه بالرَّحمة ، قائلاً ([٩٧]) :

فيهـا الـرَّؤوفُ بهـا الـرَّحيمُ بهـا الـذي ** جَمَـعَ السَّـمَاحةَ والشَّـجَاعَةَ والحِجَـا

ويقول ([٩٨]):

مُحَمَّـــدٌ المَبْعُـــوث للخَلْـــقِ رَحْمَـــةً ** فَكَـمْ خلـلٍ سَـوَّى وكَـمْ خَلّـةٍ سَـدّا

وقال ([٩٩]):

جَــوادٌ نبــيُّ الرّحمــةِ القُــثم الــذي ** ســيوردُنا فــي الحَشْــرِ أكْــرَمَ مَنْهَــلِ

ويقول في موضع آخر ([١٠٠]) :

يــا مُضْــفِياً لِلنّــاسِ ظِــلّ رَحْمَــةٍ ** بَـاتَ العِدَا مِنْهَـا علـى جَمْـرِ الغَضَـا

وقال ([١٠١]) :

ومــا أنْــتَ إلاَّ رَحْمَــةٌ عَمَّــتِ الــوَرَى ** ونُــورٌ مُبِــيْنٌ قَــدْ جَــلا كُــلّ أَلْيَــلِ

وهذا اقتباس واستدعاء لقوله تعالى : " مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " ([١٠٢]) .

وقوله تعالى: ([١٠٣]) " لْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ " .

كان وصفه للرسول صلى الله عليه وسلم – بالرحمة منطلقاً مما جاء به الوحي ، فذكْر ذلك يستدعي تلك الآيات الكريمات .

ومن صفاته – صلى الله عليه وسلم – حرصه على الأمّة ، يقول ابن جابر([١٠٤]) :

حَــرِيْصٌ علينــا خَــاتَمُ الرُّسْــلِ ناصِــحٌ ** كَــرِيْمٌ كَثِيْــرُ الخَيْــرِ إنْ قَــالَ يَفْعَــلِ

أُكِّد هذا الوصف في كتاب الله في قوله تعالى : ([١٠٥]) " لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ " .

من صفاته – عليه الصلاة والسلام حرصه على أمته ، وبيانه الخير لها ، وتحذيرها من كلِّ سوء، ولا يخفى جمال كلمة " علينا " ، وأن الشاعر ينتمي إلى هذه الأمة ، وأنه داخل في نظامها ، وأنّ ذلك الحرص يُنمِّي محبته ، ويعلي منزلته – صلى الله عليه وسلم– في نفوس الأمة .

وهناك وصف آخر أورده الشاعر ألا وهو أن الرسول عليه الصلاة والسلام – خاتم الرسل ، وهذا مبثوث في شعره ، ومدائحه النبوية ، من ذلك قوله ([١٠٦]) :

قَصْــــداً لِمُرتقــــبٍ للهِ منتصــــرٍ ** فــي الحــقِّ مجتهــدٍ للرُّســلِ مختــتمِ

ويقول ([١٠٧]) :

يَــؤُمُ داراً بهــا خيــرُ الــورى حَسَــبًا ** الخـاتمُ الرُّسْلِ مِـنْ عُرْبٍ ومِـنْ عَجَـمِ

إنها أبيات تذكر تلك الصفة العظيمة ، والمنقبة الرفيعة ، فهو خاتم المرسلين لا نبي بعده، قال تعالى : " مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ " ([١٠٨]) .

فهو –عليه الصلاة والسلام – خاتم لا نبي بعده، وهذا دليل مكانته ، وفضله ، ووجوب التمسك بما جاء به .

ومن الموضوعات الدينية التي تحدث عنها شاعرنا الحديث عن القيامة وأهوالها ، وما يكون من شفاعته – عليه الصلاة والسّلام – في ذلك اليوم ، يقول ([١٠٩]) :

يـا سَـيِّدَ الرُّسْـلِ عَبْـدٌ قَـدْ أَتَـى ولَـهُ ** مِـنْ سَـالِفِ الـذَّنْبِ تَخْوِيْـفٌ وتَخْجِيْـلُ

يَرْجُـو شَـفَاعَتَكَ العُظْمَـى إذا اشْـتَعَلَتْ ** نَـارٌ عَلـى مَـنْ عَصَـى مِنْهَـا سَـرَابِيْلُ

يصفه بسيد الرسل ، ثم يذكر أن ذنوباً تقض مضجعه إذا ذكرها انتابه الخوفُ والخجل ، أتى حاجاً زائراً يرجو الرحمة والغفران في الدنيا ، والشفاعة العُظمى في الآخرة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في يوم تشتعل النار اشتعالاً عظيماً على العصاة ، فتكون ثياباً وسرابيل على أجسادهم ، وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى : " فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ " ([١١٠]) .

ولفظة " سرابيل " تستدعي قوله تعالى :" وجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيْلَ تَقِيْكُمُ الحَرَّ وَسَرَابِيْلَ تَقِيْكُمْ بَأْسَكُمْ([١١١])" والسرابيل تؤخذ لحماية الجسد من الحرِّ ، وتقي الجسد في المعركة ، فهي حمايةٌ له ، ويوم القيامة تكون تلك السرابيل التي يلجأون إليها من النار ، فكيف تقي وهى من نار!– نسأل الله العافية– .

ويصف هول القيامة والتطلع إلى مَنْ يشفع في ذلك يوم ، وما يكون من الذهاب لأنبياء الله – عليهم السلام – حتى يصلون إلى رسول الله محمدٍ – صلى الله عليه وسلم – فيؤذن له بالشفاعة ، يصف هذا الموقف ، وهذا المشهد شاعرنا ، قائلاً ([١١٢]) :

هـو المُرْتجـى إذْ يُـذْهل النـاسَ خـوفُهم ** فقـالوا انظـروا هـل مِـنْ شَـفِيعٍ مُومَّـلِ

فـــأيَّ نبـــيّ يســـألون أجـــابَهُمْ ** كفتنِـيَ نفسـي إنَّ ذلـك لـيسَ لِـيْ

فيـــدعوهمُ عيســـى علـــيكم مُحَمَّـــداً ** نبـيٌّ متـى يشـفعْ إلـى اللهِ يُقبـلِ

فيأتونَـــهُ قَصْـــداً فيـــدعو أنَـــا لَهَـــا ** فيـأتي النِّـدا واشْـفع ومـا شـئْت يُفْعَلِ

فيخـرجُ منهـا بالشـفاعةِ كـلّ مَـنْ ** لديـه مـن الإيمـانِ حَبَّـةَ خَـرْدَلِ

وهذا الوصف للشفاعة جاءت به الأحاديثُ الشريفة مفصّلةً مُبيّنه ([١١٣]) ، ويتحدث عن الآخرة من خلال ذكره لنهر الكوثر والحوض ، قائلاً ([١١٤]):

أَلَـيْسَ لَـهُ الحَـوْضُ الـذي نـأمَنُ الظّمَـا ** إذا مـا شَـرِبْنا مِنْـهُ جَرْعَـةَ سَلْسَـلِ

والحديث عن الحوض جاء مفصلاً في السنة النبوية([١١٥]) ، والكوثر نهر جاء في كتاب الله ، سُمِّيت سورةٌ باسمه ، قال تعالى ([١١٦]) : " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ " ، والكوثر نهرٌ يغذي الحوض بالماء يوم القيامة .

أشار شاعرنا إلى أعظم شيئين اختص بهما – عليه الصلاة والسلام – يوم القيامة الشفاعة العظمى والحوض ، وقد جاء الحديث عنهما في درج الحديث عن صفاته عليه الصلاة والسلام .

من المعاني المطروقة في شعره خلق الإنسان من ماءٍ وطين ، يقول في ذلك ([١١٧]) :

وكـــــان آدمُ إذا كانـــــت نبوَّتـــــه ** مـا بـين مـاءٍ وطـينٍ غيـر مُلتـئمِ

ويقول في قصيدة أخرى ([١١٨]) :

رُضِـــــيْتَ للإرسَـــــال إذْ آدم بَيْـــــ ** نَ الطِّـينِ والمـاءِ فكُنْـتَ المُرْتضـى

يشير شاعرنا إلى نبوته – صلى الله عليه وسلم – منذ أن خلق الله آدم ، وهو في بداية الخلق من طين ، وهذا المعنى " بين الماء والطين " إشارة إلى العنصر الذي خلق الله منه أبانا آدم – عليه السلام – ثم نفخ فيه من روحه ، وقد أشار الله – تعالى – إلى هذا في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى : "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ " ([١١٩]) ، وقال تعالى " إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ " ([١٢٠]) ، وقال : " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ([١٢١]) ، وقال :" خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ([١٢٢]) " ، فهذه بعض مما ورد في كتاب الله الكريم من أنَّ أبانا خُلِقَ من طينٍ ، مَرَّ هذا الطِّينُ بمراحل مختلفة كما في الآيات السّابقة .

ومن المعاني القرآنية الإشارة إلى ما قاله داود – عليه السلام – في الكافرين ، يقول شاعرنا([١٢٣]) :

قالـتْ عِـدَاهُ لنـا ذِكْـرٌ فقلـتُ علـى ** لِسـانِ داودَ ذِكْـرٌ غَيْـرُ مُنْصَـرِمِ

لا يزال الكلام متصلاً في مدحه عليه الصلاة والسلام، وفي هذا البيت يشير إلى قوله تعالى: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ([١٢٤]) " أي إن تفاخر اليهود والنصارى ورأوا أنهم أهل فضل ، ولهم ذِكْرٌ وسُمْعة ، فقد بينها الله في أن من كفر منهم قد لعنه الله على لسان نبيين من أنبيائهم " داود وعيسى – عليهم السلام– " .

ومن معاني القرآن الدفع بالحسنى ، يقول ([١٢٥]) :

ادْفَـعْ أَخَـا الشَّـرِّ بِحُسْـنىً فـإذا ** بـهِ أخـو صِـدْقٍ وإنْ كَـانَ سَـطا

وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى : " ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ "([١٢٦]) . وقال : " ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ " ([١٢٧])

جاء ذلك في دائرة النصح ، وأن الدفع بالتي هي أحسن يعود بالفائدة ، والخير على صاحبه. ومن المعاني القرآنية وجود الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين الصحابة أمانٌ لهم من عذاب الله ، يقول ([١٢٨]) :

لـــولا رَسُـــولُ اللهِ فِيْنَـــا لَـــمْ نَفُـــزْ ** مِـنْ غيِّهـا فهْـوَ لَنَـا نِعْـمَ الحِمَـى

وهذا المعنى يشير إلى وجوده – عليه الصلاة والسلام – بين أصحابه مرشداً ، وهادياً ، ومنذرا ، وأن الله لا يعذب أمته ورسولها بين ظهرانيهم ، قال تعالى : " وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " (١٢٩).

فهو عليه الصلاة والسلام – أحد الأمانين من العذاب عندما كان حيّاً ، ولم يبق بعد موته أمانٌ من عذاب الله إلاَّ الاستغفار .

كما تحدث شاعرنا عن المال وبين مكانته ، وموقف الناس منه ، قائلاً (١٣٠) :

ولا أَلُـــومُ المَـــالَ فالْمَـــالُ حِمَـــىً ** مِـــنْ جَاهِـــلٍ يَلْقَـــاكَ شَـــرَّ مُلْتَقَـــى

قَـدْ جُبِـلَ النَّـاسُ علـى حُـبِّ الغِنَـى ** فَرَبُّـــهُ فِـــيْهِمْ مُهَـــابٌ مُتَّقَـــي

فقوله : قد جُبل الناس على حُبِّ الغنى " إشارة إلى قوله تعالى " وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا "(١٣١) .

من المعاني القرآنية الإعراض عن الجاهلين ، يقول شاعرنا في هذا المعنى(١٣٢) :

أعْـرِضْ عَـنِ الجَاهِـلِ مَهْمَـا قَـدْ أَسَـا ** وحَسْـبُهُ مِـنْ جَهْلِـهِ مَـا قَـدْ حَـوَى

وهذا المعنى إشارة لقوله تعالى : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " (١٣٣) خطاب لنبيه يتأدب به أتباعه صيانةً لهم ورفعاً لقدرهم حتى لا يخوضوا مع الجاهلين في جهلهم .

ومن المعاني القرآنية في وصفه عليه الصلاة والسلام – أنه أرسل بشيراً ، ونذيراً ، وقد جاء هذا الوصف في قول ابن جابر (١٣٤) :

بَشِـــيْرٌ نَـــذِيْرٌ سَـــيّدُ الخَلْـــقِ كُلِّهِـــم ** مَكِـــينٌ مُطَـــاعٌ ذُو ثَنَـــاءٍ مُكَمَّـــلِ

إن هذا الوصف " بشير ونذير " وصف تردد كثيراً في كتاب الله ، من ذلك قوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " (١٣٥) ، وقال تعالى : " بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ " (١٣٦) وقال تعالى : " بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ " .(١٣٧) ، وقال تعالى : " إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ " (١٣٨) " ، فهو صلى الله عليه وسلم بشيرٌ بالخير لأصحابه والمتبعين له بعد ذلك ، ونذيرٌ للكافرين من عذاب الله . وبيت ابن جابر يستدعي هذه النصوص ، ويوظفها تمييزاً له عليه الصلاة والسلام.

ومن المعاني – كذلك – تغير ألوان الوجوه يوم القيامة ، وتمييزها بالبياض أو السواد ، يقول في ذلك(١٣٩):

بِجَاهِـــكَ تَبْـــيَضُّ الوجُـــوهُ بِشَـــارَةً ** إذا اغْبَرَّ وجْـهُ المُنْثَنِـي عَنْـكَ واسْوَدَّا

ذكر الشاعر أن ابيضاض الوجوه يوم القيامة بسبب جاهه – عليه الصلاة والسلام – وما ذاك إلاَّ بسبب أعمال العبد كما جاء ذلك في كتاب الله ، قال تعالى : " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ " (١٤٠) . ، وقال تعالى

: " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ {٤٠} تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ {٤١} أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ "([١٤١]) .

جعل شاعرنا من صفاته – عليه الصلاة والسلام – أن وجوهاً تبيض يوم القيامة بنور الطاعة التي كان اتباعهم له – صلى الله عليه وسلم – سبباً في حصولها ، ووجوهاً سوداء عليها غبره أصابتها بسبب الكفر والإعراض عما جاء به ، فهم كافرون .

نلحظ أن كثيرا من هذه المعاني في هذا المبحث جاءت مؤيدةً لحقائق ومعان قرآنية يقل – غالبا – التوظيف الفني .

- **الألفاظ القرآنية في شعره :**

امتاز القرآن الكريم بألفاظ ذات خصوصيَّة إذا وردت في الكلام استدعت الآيةَ التي وردت تلك اللفظة فيها ، وقد حرص الشعراء على توظيف تلك الألفاظ في شعرهم ؛ لما تتسم به من وهج وطاقةٍ تعبيرية تجعل نصوصهم ذات فنيّة عالية ، وشاعرنا ابن جابر ممن وظفّ بعض تلك الألفاظ القرآنية في شعره ، من ذلك لفظة " تباب " ، يقول ذاماً للدنيا ، وأهلها الراكنين إليها،([١٤٢]):

يَعُدُّون من عِزِّ النُّفوسِ اكْتِسَابها ** وما هو إلا ذِلَّةٌ وتَبَابُ

وما مَثَلُ الدُّنيا وطُلاَّبِ مِثْلِها ** سوى جِيَفٍ مِنْ حَوْلِهِنَّ كِلابُ

جاء في اللسان : " التَّبَبُ والتَّبابُ والتَّتْبيبُ " الهلاك ، .. النَّقص والخسار "([١٤٣]).

فالركون إلى الدنيا هلاكٌ ، وخسارةٌ ، وذِلّةٌ ، وهوانٌ – وترصيع ابن جابر لبيته بكلمة " تباب " فجّر طاقةّ تعبيرية داخل النّص مبينا بذلك حقيقة أولئك الراكنين إلى الدنيا الظانين أن الركون والاهتمامَ بها ، والحياةَ من أجلها من عزِّ النفوس وكمالها ، وهذه اللفظة المُتَّقدة داخل النص " تباب " تستدعي نصوصاً قرآنية تتسلل إلى فكر الملتقي ، من ذلك قوله تعالى : " وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ " ([١٤٤]) وقوله تعالى – في شأن أبي لهب " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ"([١٤٥]) .

ومن الألفاظ القرآنية لفظة " مآرب " ، يقول في حنينه إلى بلدة المريّة([١٤٦]) :

مَرَّتْ ليَالٍ بالمَرِيَّةِ طَالَمَا ** قَضَيْتُ مِنَ لَيْلٍ بِهِنّ مَآرِبَا

لَمْ أَسْلُ عَنْ تِلْكَ الدِّيَارِ وإنَّمَا ** جُعِلَ القَضَاءُ لِكُلِّ نَفْسٍ غَالِبَاً([١٤٧]) .

يقول متحسراً كم ليلةٍ مرت عليه في مدينته المريَّة يقضي فيها السعادة والأنس بشتى أنواعه ، وما خرج منها رغبةً عنها بل جرى عليه قدر الله الغالب ، فاللفظة في هذه المقطعة هي " مآرب " أي مقصد أو حاجة أو منافع ، وهذه اللفظة تحيلنا إلى قوله تعالى سائلاً كليمه موسى – عليه السلام – حين قال : " وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى {١٧} قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا

وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٤٨) " ، فعصا موسى جاءت في سياقٍ ؛ لبيان منافعها فهو الراعي للغنم ، ومنافعها كثيرة ، أمّا في قول ابن جابر فجاءت الكلمة في سياق الذكرى والحنين ، وما كان يدور في تلك الليالي التي عاشها في المريَّة من سعادةٍ ، وأُنسٍ ، وسمر ، وغير ذلك ، مما توحى به كلمة " مآرب " التي اختصرت وأوجزت ما يدور في الليالي مما يُذكر ومما لا يُذكر.

ومن الألفاظ القرآنية لفظة " اقتدِ " ، وقد جاءت هذه اللفظة في شعر ابن جابر ناصحاً المسلمين ، يقول في ذلك (١٤٩) :

بِهَـدْي النَّبِـي الهاشِـمِي مُحَمَّـدٍ ** وبالعشـرةِ الأخْيـار مِـنْ بَعْـدِهِ اقْتَـدِ

فَهُـم نَصَـحوا كُـلَّ العِبَـادِ ومـا ونـوا ** وهُم أَوْضَحُوا سُبْلَ الرَّشَادِ لِمُهْتَدي

قدّم المتعلقات ، وآخرّ الفعل لشدِّ الانتباه ، وأهميَّة ما يجب نحو هديه – صلى الله عليه وسلم – وهدى أصحابه ، وبيانه ، والكلمة المضيئة في النّص كلمة " اقتد " ، وهذه الكلمة أوجزت ما يجب على المؤمن تجاه هدي الرسول الكريم وهدى أصحابه – رضي الله عنهم – وهذه الكلمة الأم في النص استمدت قوتها وإيحاءها ووهجها من القرآن الكريم في قوله تعالى : " أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ " (١٥٠) ، أمر الله نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – بالاقتداء بآبائه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين بعد أن ذكر الله مجموعةً منهم " إبراهيم ، إسحق ، يعقوب، ونوح ، داود ، سليمان ، وأيوب ، يوسف ، موسى ، هارون ، وزكريا ، يحيى ، عيسى ، إلياس ، اسماعيل ، اليسع ، يونس ، لوط – عليهم الصلاة والسلام – الذين اجتباهم الله وهداهم ، فهم قدوته وأسوته ، وهو وأصحابه قدوة لنا ، وأسوة إلى يوم القيامة .

كما أورد – سبحانه وتعالى– جانباً من الاقتداء بالشر في درج الحديث عن الاقتداء الباطل الذي جاء على ألسنة الكفار الذين تبعوا آباءهم في الضلال ، قال تعالى : "إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ " (١٥١) .

ومن الألفاظ القرآنية لفظة " جاثية " ، وقد جاءت في شعر ابن جابر في حديثه عن صفات الرسول – صلى الله عليه وسلم – وخصائصه التي اختص بها ، يقول (١٥٢) :

لَـهُ الشَّـفَاعَةُ حَيْـثُ الرّسْـلُ جَاثِيَـةٌ ** وكُـلّ شَـخْصٍ لِـذَاكَ اليَـوْمِ مَخْبُـولُ

أخذ شاعرنا لفظة " جاثية " ، ووظفها في شعره ، فأعطتِ النّص بلاغةً نقلت لنا تلك الصورة ليوم القيامة التي وردت في القرآن الكريم ، ولا يمكن أن ينقل لنا هذا المشهد غير هذه اللفظة المتقدة المعبّرة ، قال تعالى : " وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "(١٥٣) .

جعل شاعرنا الرسل جاثية من شدة الهول ولبيان مكانته – عليه الصلاة والسلام – بينهم، ثم يقوم فيؤذن له بالشفاعة ، وهم مع أممهم جاثون . وفي جعله الجثو للرسل مزيداً من بيان تلك المكانة التي يجثو في ذلك المكان والموقف الرسلُ ، وهم أفضل الخلق ، فيكرّم بالشفاعة في ذلك الموقف ، إنه شرف عظيم ، وشاعرنا وظف اللفظة ونقلها من سياقها الدال على الأمم إلى أن الجاثين هم الرسل ليتناسب مع بيان مكانته عليه الصلاة والسلام – ومديحه في يوم يجأر الأنبياء وأممهم طلباً للفصل بين الخلائق .

ومن الألفاظ الملتصقة بالقرآن لفظا "مَكِيْن ، مُطَاع " ، وقد أوردهما شاعرنا في بيت ضمنه مجموعةً من صفات الرسول – صلى الله عليه وسلم – في قوله ([١٥٤]) .

بَشِيرٌ نَذِيرٌ سَيِّدُ الْخَلْقِ كُلّهِمْ ** مَكِينٌ مُطَاعٌ ذُو ثَنَاءٍ مُكَمّلِ

وردت اللفظتان " مكين ، مطاع" في القرآن الكريم في وصف أمين الوحي روح القدس جبريل – عليه السّلام – في قوله تعالى : " إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {١٩} ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ {٢٠} مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ " ([١٥٥]) . فقوله " مكين " أي : ذو مكانة وشرف بين الملائكة ، وقوله " مُطاع " أي : أن الملائكة تطيع أوامره التي ينزل بها من الله ، فاجتمع له المكانة ، والطاعة له من غيره ممن هم من جنسه ، وشاعرنا نقل هذا الوصف إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهو مكينٌ له مكانةٌ بين البشر في حياته وبعد مماته ، ويوم القيامة ، ومكانةٌ في الجنة لا تنبغي لغيره ، وقوله " مُطاع " أي أن اتباعه يطيعون أمره ، ويعظمونه ، وقد وُفِّق ابنُ جابر حينما نقل الصفتين اللتين اتصف بهما جبريل عليه السلام – إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكأنّه يقول هذه صفات أفضل الملائكة ، وسيدهم في السّماء ، اتصف بهما أفضل البشر وسيدهم في الأرض، وهذا دليل براعةٍ وفنيَّةٍ عالية .

ومن الألفاظ القرآنية لفظة " عَبَسَ " ، وقد جاءت في شعر ابن جابر في معرض الفخر، يقول ([١٥٦]) :

ونَكْتُبُ بالمُثَقَّفَةِ العَوَالي ** بحيث الطُّرس لبّاتٌ وهَامُ

إذا عَبَسَتْ وجُوهُ الدَّهرِ مِنَّا ** إليها فانْثَنَتْ ولَهَا انْتِقَامُ

في مديح لملوك بني نصر أهل غرناطة ([١٥٧]) يبدأ شاعرنا بالفخر، وفي هذين البيتين يفخر قائلاً إن شجاعتنا تفوق كلّ شجاعة ، فإننا نجعل رماحنا كالأقلام تشرب الدم ، وأوراقها وطروسها نحورَ الأعداء وجماجمَهم ، وإن عبس الدّهر منَّا لا يجد أمامه سوى صورة أقبح من صورتنا يجد الرماح التي لا تفارق الوجوه إلاَّ بعد أن تنتقم منها .

والكلمة الوادة في البيت الثاني هي كلمة " عَبَسَتْ " ، ولم يجعل العابس وجها واحدًا بل جعلها وجوهًا عديدةً ، ثم قال " مِنَّا " ، فالموقف موقف فخر ، وشجاعة ، وحروب ، والجماعة

أقوى من الفرد ، وأن العبوس كان بسبب النظر إلى وجوههم ، وليس عبوساً فيها ، فتلك الوجوه تنظر وجوههم ، فتعبس بسببها ، فتبحث عن منظر آخر تنظر إليه ، فلا تجد إلاَّ تلك الرماح التي لم تكن أفضل حالاً من وجه الشاعر ، ووجوه قومه ، فتنال تلك الرماح من الوجوه ، وهذه اللفظة التي دار عليها المعنى جاءت في كتاب الله تعالى في معرض العتاب لنبيه – صلى الله عليه وسلم – في قوله تعالى : " عَبَسَ وَتَوَلَّى {١} أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى " (١٥٨) ، وظف شاعرنا هذه اللفظة بفنيةٍ عالية من حيث الجمعُ " وجوه " ، والسببُ الذي جعلها تعبس " منّا " ، كنايةً عن شدتهم وشجاعتهم التي تجعل الآخرين عابسين بسببهم .

ومن الألفاظ القرآنية المتلألئة لفظة " زمر " ، حيث جاءت في قول شاعرنا"(١٥٩) :

زيَـــارَةُ خَيْـــرِ المُرْسَـــلين بَـــرَاءَةٌ ** لَدَى الحَشْرِ مِنْ نَارٍ قَدِ الْتَهَبَتْ حَرَّا

فلَـــمْ يَكُـــنِ الإنْسَـــانُ يَنْجُـــو بِغَيْـــرِهِ ** إذا زُمَـرُ الأَمْـواتِ قَـدْ نُشِـروا نَشْـرا

يقول : إنَّ زيارة قبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – براءةٌ يوم القيامة ، ومنجاةٌ من نار التهبت حرّا ، معتمداً على مقولة " مَنْ زار قبري وجبت له شفاعتى " ، وهذا حديثٌ ضعيف(١٦٠) . ، ثم يذكر أنَّ الإنسان لابد أن يجد عملاً صالحاً ينجو به ، فلا نجاة إلا بالرسول – صلى الله عليه وسلم – بسبب زيارته ، إذا خرج الناس من قبورهم زُمراً ، ولفظة " زُمَر " تستدعي لنا مشهداً من مشاهد يوم القيامة ، ألا وهو انصراف الناس إلى الجنّة أو إلى النار ، قال تعالى : " وَسِيْقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ..." (١٦١) ، فشاعرنا يتحدث عن خروج الأموات من قبورهم ، وضعفهم ، وحاجتهم إلى النجاة ، والدليل متخذاً من لفظة " زمر " وصفاً لحالهم ، وأنهم جماعات ، ودفعات ، تخرج من أماكن متفرقة باتجاه المحشر ، أمَّا القرآن فجاءت اللفظة في وصف نهاية يوم القيامة كلُّ عبد يتجه إلى مصيره ، جنةٍ أو نار ، نسأل الله الجنة .

- **التراكيب القرآنيّة في شعره :**

كما أفاد ابن جابر من اللفظة القرآنية أفاد من التراكيب القرآنية التي تواءمت وحاجته الفنيَّة ، وقد غيرّ في بعض التراكيب لتتسق مع الوزن الشعري .

يخاطب ابن جابر حادي الإبل المتوجهة إلى المدينة المنورة ، مبينا أنَّ الذي يحدو الركب حقيقةً هو الشَّوق ، قائلاً (١٦٢) :

يـا سَـائِقَ الأَظْعَـانِ شَـأْنَك والسُّـرى ** واطْـوِ المَنَاهِـلَ مُسْـحِراً أو مُـدْلِجا

وارْفُـقْ بِنَـا فالشّـوقُ مِنَّـا قَـدْ بَـرَى ** مُهَجاً وقَدْ شَكَتِ المَطِيُّ من الوَجَا

دعْهَـا فـإنَّ الشَّـوقَ يجْـذِبُها إلـى ** تلـك الـدِّيارِ وإنْ يَكُـنْ لَيْـلٌ سَـجَا

استثمر ابن جابر تركيب " ليلٌ سجا " وأن الشوق إلى المدينة لا يمنعه شيء ، ولو كان المانع الليل الذي ضرب أطنابه على القافلة ، فإنه لا يوقف المسير ، وهذا التركيب جاء في قسم

الله تعالى بهذه الآية من آيات عظمته ، سبحانه " وَالضُّحَى {١} وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى {٢} مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى([١٦٣]).

أقسم الله تعالى بوقتين مختلفين " الضحى " و" الليل المظلم شديد السَّواد " أنَّه ما ترك نبيه ولا أبغضه ، وابن جابر جاء بالتركيب شوقاً لا هجراً لزيارة قبره ، ولا بغضا بترك الزيارة حتى لو منعت المسير أيةٌ عظيمةٌ أقسم الله بها وهي الليل السَّاجي المظلم ، فالسياقان جاءا في الوصل ن والزيارة ، والمحبّة .

من التراكيب الموظفة تركيب " أُمّ القرى " ، " أوقدوا نارا" ، يقول ([١٦٤])

بِهِـم عـاشَ فـي أُمِّ القُـرَى كُـلُّ هَالِـكٍ ** وهم أَوْقَدوا نَـارَ القِرى لِمَن اسْتَهْدى

جاء التركيب الأول " أُمّ القرى " مرتين في شعره ، الأولى في سياق المديح لآباء الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأجداده أهل الجود والمجد الذين كانوا بمكة يطعمون الحجيج والمارِّين ، فناسب ذلك أن تكون مدينتهم التي تُقصد لوجودهم فيها أمّ القرى لتوافد الناس إليها ، وفي البيت الثاني يصفه – صلى الله عليه وسلم – وما امتاز به من جمال ، وجلال ومحبةٍ ،وبشر حين يفد إليه الوافدون على اختلاف حاجاتهم طلباً لعلم ، أو مالٍ أو نجدةٍ أو غير ذلك([١٦٥]) ، وما يعتريهم من سعادة حين رؤيته مع الإيمان بتحقق ما جاءوا من أجله كحال الحجيج الذين عاينوا مكة فغشيتهم السّعادة آملين في المغفرة والقبول .

فتوظيف التركيب " أم القرى " في معنيين أعطاه دلالةً جديدةً ،ومعنىً روحيا، وطاقة تعبيريةً ارتقت بفنية النَّص.

أما التركيب الثاني فقوله " أو قدوا نار القِرى " ، وهذا التركيب جاء جزء منه في وصف اليهود في قوله تعالى : " كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا " ([١٦٦]) .

وظّف ابن جابر هذا التركيب توظيفاً فنياً من خلال الإضافة " نار القِرى لِمَن استهدى " ففي القرآن ذمٌ لليهود وبيان فسادهم " أما بنو هاشم فنارهم نار خيرٍ ، وإطعامٍ ، وهدىً للسائرين ليلاً ، نار تدل على كرمهم ، ومجدهم ، وأصالتهم ، اصطفاهم الله من قريش ، واصطفى نبيه – صلى الله عليه وسلم – منهم .

ومن التراكيب الموظفة ما جاء في قوله ([١٦٧]):

وقامَـتْ بِـهِ وُرْقُ الحَمَـامِ وِقَايَـةً ** فقالوا لَـوِ اسْتَخْفَى بِـهِ نَفَّرَ الوُرْقَا

فَكَافَأَهَـا بِـالأَمْنِ حَـوْلَ ضَـرِيْحِهِ ** إلـى اليَـومِ لا بَخْسا تَخَافُ ولا رَهْقَا

يتحدث عن معجزة من معجزات الهجرة من كون الحمامة بَنَتْ عُشَّها في فم غار ثور ، مما جعل مشركي مكة يستعبدون أن يكون الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد دخل الغار ؛

لوجود الحمامة على بيضها ، يقول ابن جابر ، فكان جزاء تلك الحمامة أن تكون بجوار ضريحه – صلى الله عليه وسلم – بالمدينة وكذلك بمكة لا تخاف آمنةً من نقص حسناتها أو زيادة سيئاتها ، وهذا مع التغيير في التركيب لمناسبة الوزن مأخوذ من قوله تعالى : " فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا " (١٦٨) . ، وقد عبَّر بالبخس والرهق ، عن نقص الرزق ، والعناء في الحصول عليه ، والخوف في طلبه ، والتعرض للخطر والآفات ، فهى آمنة كما نراها في المسجد ، والأماكن المجاورة ، وبمقبرة البقيع يعطيها الزائرون الأكل والشرب ، فقد يكون هذا مقصود الشاعر ، والله أعلم .

ومن التراكيب الموظفة" استمسك بالعروة الوثقى " جاء هذا التركيب في شعراء بن جابر في قوله " (١٦٩):

هـي العُـرْوَةُ الـوثْقى فـإنْ كُنْـتَ طَالِبـاً ** نَجَاتَـكَ فاسْتَمْسِـكْ بعُرْوتِهَـا الـوُثْقَى

جاء هذا الوصف في وصف مدينته – عليه الصلاة والسلام – وأنها العروة الوثقى لا يخرج من كان فيها زاهداً فيها، وأنها نجاة ، لا يدخلها الدجال هي ولا مكة ، وقد قيل في معنى العروة الوثقى " عن ابن عباس أنها لا إله إلا الله ، وقال أنس : القرآن ، وقال مجاهد : الإيمان ، وقال السُّدِّي: الإسلام ، وقال ابن كثير : " كل هذه الأقوال صحيحة ، ولا تنافي بينها (١٧٠) ، وقد ورد في الحديث " إنَّ الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها (١٧١) ، ويأرز " يرجع ويثبت.

فابن جابر يجعل المدينة العروة الوثقى تبعاً لبعض الأقوال السابقة ، وقد جاء التركيب " العروة الوثقى " في القرآن الكريم في موضعين ، الأول في قوله تعالى : " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (١٧٢) ، والثاني في قوله تعالى : " وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " (١٧٣) .

جاء التركيب للترغيب في سُكنى المدينة ، فهي بلدٌ مبارك فيها أفضل الخلق يرجع إليها الإيمان والإسلام ، معصومة من الدجال ؛ لذلك نجد ابن جابر يعيد التركيب تأكيداً عليه ، وأن النجاة في البقاء فيها مع الإيمان ، والعمل الصالح ، وقد غيَّر ابنُ جابر في التركيب تغييراً طفيفاً ؛ ليتناسب والوزن الشعري والقافية .

استعمل ابن جابر تركيب " طغى الماء " مع تقديم الماء على الفعل في قوله (١٧٤) :

تَـرَى خَرِيـرَ المَـاءِ فـي مَصَـبِّهِ ** كَأَنَّـهُ صَـيِّتُ ذَوْدٍ قَـدْ رَغَـا(١٧٥)

فَسَـكَّنَ القَـيْظُ لهيـبَ حَـرِّهِ ** وقَـرّ لَمَّـا أنْ رأى المَـاءَ طَغَـى

غيـثٌ حَمَـى الرَّمضـاءَ عَنَّـا مِثْـلَ مَـا ** حَمَـى رسـولُ اللهِ جَـوْرَ مَـنْ بَغَـى

يتحدث عن أثر الغيث على الأرض المقفرة شديدة الحرارة في فصل القيظ ، فلما نزل عليها ذلك الغيث سكن الحرُّ بعد أن طغى الماء على تلك الأرض ، فسلب منها حرّها ؛ لكثرته وحمى الرمضاءَ ، فالحال كحال الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذي حمانا من جور من بغى وظلم ، فهو الغيث الذي يحيي بأمر الله ويغيرّ العذاب إلى رحمة ، وهذا التركيب " الماء طغى " مأخوذ – بعد التغيير لمناسبة الوزن والقافية – من قوله تعالى : " إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ {١١} لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ " (١٧٦) ، وظف التركيب " طغى الماء " لبيان الشدِّة التي كانت ، وزالت بعد مجيء الغيث ، والآية بينت الشِّدة التي زالت بعد طغيان الماء ، وهلاك الكافرين ، ونجاة المؤمنين في السفينة ، فالرحمة ، والخير ، والنعمة ، وذهاب الشَّر ، تمت بعد طغيان الماء في الحالتين ، وهذا ربط بين الموقفين أشار إليه التركيب ، وهذا دليل شاعريَّة ابن جابر الأندلسي .

ومن التراكيب القرآنية الموظفة في النص الشعري تركيب : " اشتعال الرأس بالشيب " هذه الصورة الاستعارية ، جاءت في شعر ابن جابر في غرض النصح ، قائلاً (١٧٧) :

مـــا أقْـــبَحَ اللهـــوَ علـــى المَـــرْءِ إذا ** مـــا اشْـــتَعَل الـــرَّأْسُ مَشِـــيْباً واكْتَسَـــى

يستعظم أن يكون اللهو ملازماً لمرءٍ قد علا رأسُه الشيبَ بل كساه جميعه ؛ لأن الشيب علامة الوقار ، ومنذرٌ بالموت واقتراب الأجل ، قال تعالى :" وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ " (١٧٨) ، قيل النذير : الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقيل : الشيب .

وهذا التركيب ، وهذه الصورة جاءت في دعاء نبي الله زكريا– عليه السّلام – في قوله تعالى : " قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا "(١٧٩).

وظف ابن جابر هذا التركيب الاستعاري ناصحاً لمن تمادى في الغي واللهو ، وقد علا رأسه الشيبُ ، وأنَّ ذلك أشدّ قُبْحاً من فعلِ غيره ، فهو في مرحلةٍ عمريَّةٍ تمنعه من ذلك اللهو ؛ لذهاب الصبوة ، هذا التوظيف للصورة جاء خدمةً للمعنى المراد ، والغرض الذي رامه الشاعر ، مع أن الصورة في الآية الكريمة جاءت لبيان كِبر سِنِّ زكريا – عليه السلام – وتأخر الولد ، جاءت في ثياب التحسر ، وإظهار الضعف اللذين لا يرفعهما عنه إلا الواحد الأحد القادر على كلِّ شئ .

- **الإشارة والإيماء إلى آيةٍ أو سورة :**

أورد ابن جابر في شعره ألفاظاً يحيل من خلالها إلى سورة من سور القرآن أو التورية بأسماء بعض السور ، من ذلك قوله مشيراً إلى سورتي النصر ، والفجر (١٨٠) :

فجَـاءَ مُجيْبـاً فـي (إذا جَـاءَ) بالـذي ** شَـــفَاهُم فقـــالوا حَقُّـــهُ أنْ يُسَـــوَّدِ

فآيتُهـــا مِـــنْ آخِـــرِ الفَجْـــرِ أُسْـــمِعُوا ** لَـدَى وضْـعِهِ فـي خَيْـرِ قَبْـرٍ ومَلْحَـدِ

يتحدث عن فضائل حبر الأمة ، وترجمان القرآن عبد الله بن العباس – رضي الله عنهما – حيث أشار في البيت الأول إلى سورة النصر ، وفي البيت الثاني إشارة إلى أواخر سورة الفجر ، وهي قوله تعالى : " يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ {٢٧} ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً {٢٨} فَادْخُلِي فِي عِبَادِي {٢٩} وَادْخُلِي جَنَّتِي " (١٨١) .

اكتفى ابن جابر بالإشارة إلى الآيات التي لها علاقه بالمعنى ، والفكرة التي يتحدث عنها . ويشير إلى سورة الإخلاص ، في قوله (١٨٢) :

رحَلْنا إلى أمِّ القُرى نعْملُ السّرى ** عسى سُورة الإخْلاصِ في حَجِّنا تُقْرَا

فذكر سورة الإخلاص يستديعها بجميع آياتها ، التي تتحدث عن التوحيد ، والحج مظهرٌ من مظاهر التوحيد لله عزّ وجل .

ويتحدث عن القرآن الكريم وخصائصه ، قائلاً (١٨٣) :

علـى مَسَـاقٍ ونظْـمٍ لَـيْس مِـنْ بَشَـرٍ ** فللمُعَـــارِضِ تَعْجِيْـــزٌ وتَخْـــذِيْلُ

والعُـرْبُ عـن سُـورَةٍ مـن مِثْلِـهِ عَجَـزوا ** فـــي وفْـــرِهم وهُـــمُ اللُّســـنُ المَقَاوِيْـــلُ

هناك إشارتان الأولى تشير إلى قوله تعالى : " وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " (١٨٤) ، وقال تعالى :" بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ " (١٨٥) ، والثانية في قوله " وهم اللُّسنُ المقاويل " إشارة إلى قوله : " وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا " (١٨٦) أي شديدي الخصومة ، وشدة الخصومة تقتضي لساناً بليغاً يورد الحجة ، ويجادل ، ويستخرج من الكلام ما يؤيدُ به ما يريد.

ومما أشار إليه ابن جابر بيعة الرضوان (١٨٧) ، وذلك في قوله (١٨٨) :

هُـمْ بـايعوا بَيْعَـةَ الرِّضْـوانِ واتَّعَـدوا ** لِنَصْـــرِهِ مَوْعِـــداً مـــا فِيْـــهِ تأْجِيْـــلُ

وهذا إشارة إلى قوله – تعالى : " لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا " (١٨٩) ، فصفة كهذه الصفة تدل على كرمهم ، وأصالتهم ، وما قدموه لهذا الدين – رضي الله عنهم – فتنمو محبتهم في النفوس النقية .

أشار شاعرنا إلى مكانة الرسول – صلى الله عليه وسلم – التي وصفه الله بها من أنه ما ضلٌ وما غوى ، فأشار إلى ذلك بقسم الله والمسقم به ليدل على المقسم عليه ، يقول (١٩٠)

قـدْ أقسـمَ اللهُ فـي الـذِّكْرِ الحَكِـيْمِ بِـهِ ** فَقَـالَ " والـنَّجْمِ " هَـذا أَوْفَـرُ القَسَـمِ

فالله قد أقسم بالنجم إذا سقط وهوى أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– ما ضل ، وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، وهذا الذي جاء في قوله تعالى : " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى {١} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ

وَمَا غَوَى {٢} وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى {٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى " (١٩١) ، فإشارة ابن جابر بلفظة " والنَّجْم " حملت في طياتها صفاتٍ عظيمةً لرسول الله – عليه السلام – واختصرتها .

كما أشار إلى ما ورد في سورتي النحل والتوبة من صفاته ، قائلاً (١٩٢) :

قـومٌ إذا قيـل : مَـنْ ؟ قـالوا : نبـيُّكُمُ ** منّـــا فَهَـــلْ هَـــذِهِ تُلْفـــى لِغيـــرهِمِ

إنْ تقـرأ النّحـلَ تُنْحِـل جِسْـمَ حَاسِـدِهم ** وفـــي "بَـــرَاءَة" يَبْـــدو وجْـــهُ جَـــاهِهِمِ

وفي ذكره لسورة النحل إشارة إلى وصف الله لأهل مكة المهاجرين ، وما نالوه من عظيم الأجر ، في قوله تعالى : " وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ " (١٩٣) . ، كما أشار إلى صفاتهم في سورة التوبة في قوله تعالى : " الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ {٢٠} يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ {٢١} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ " (١٩٤) ، وفي هذا دليل على استحضار ابن جابر لآيات القرآن ، ومعانيه ، وتوظيف ذلك كلِّه في خدمة المعاني التي يريد بيانها .

- **القصة القرآنية في شعره :**

جاء الحديث عن القصص القرآني في شعر ابن جابر الأندلسي ، من خلال الإشارة إلى تلك القصة بدلالة بعض الألفاظ عليها كقصة الإسراء والمعراج ، والهجرة ، وحادثة الإفك ، ومعركة بدر ، وغير ذلك .

تحدث ابن جابر عن رحلة الإسراء والمعراج في مواطن متفرقة من شعره ، لبيان مكانته – عليه الصلاة والسلام – وما خصّه الله به من صفات ، وما امتاز به دون بقية الرسُّل – عليهم السلام – يقول (١٩٥):

سُـبْحَانَ مَـنْ أَسْـرَى بِـهِ مِـنْ بَيْتِـهِ ** لِلْمَسْـجِدِ الأَقْصَـى بِلَيْـلٍ قَـدْ دَجَـا

ركِـبَ البُـرَاقَ وجَـالَ سَـبْعَ طِبَاقِهَـا ** فـي لَيْلَـةٍ ودنـا وبُلّـغ مـا ارْتَجَـى

ويقول في قصيدةٍ أخرى (١٩٦) :

وجـاء جِبْريـلُ لـيلاً بـالبراق لَـهُ ** فجـالَ سـبْعاً ومـا فـي الوقْتِ تطْويـلُ

إذا انْتَهـى لِسَـمَاءٍ رحَّبـوا ودعَـوا ** أهْـلاً بـهِ فلَـهُ لِلْعِـزِّ تأْهِيـلُ

ثـمَّ ارْتقـى لِمقـامٍ لـم يقـمْ مَلَـكٌ ** بـهِ ولـو قـامَ لـم يصـحَبْهُ معقـولُ

فسـار وهـو سـميعٌ للنِّـداءِ يَـرَى ** مـا فـي الحَـدِيْثِ بـهِ تعْيـا التّفاصِـيلُ

ويقول في أخرى (١٩٧) :

سَـمَا لمقـامٍ لَـيْس يسْـمُو إليـهِ مَـنْ ** سِـواهُ فقِيْـلَ اقْبَـلْ عَطَـايَ وأقْبِـلِ

وقَـالَ لَـهُ جِبْرِيْـلُ هـذي نِهَـايَتي ** تَقَـدَّمْ فَـإنّي لا أُجَـاوز مَنْزِلِـي

دَنَـا فَـرَأَى مَـا لا رأى قبْـلُ مُرْسَـلٌ ** وقِيْـلَ لَـهُ أَنْـتَ الحَبِيْـبُ فأمِّـلِ

فلـيس سـوى سِـتْرِ المَهَابـةِ إذْ دنـا ** فشَـاهدَ عـيْنَ الحـقِّ غيـرَ مُمثَّـلِ

وقال في قصيدة أخرى (١٩٨) :

لقـد علمـوا أنّ البُـراقَ سـما بـهِ ** فأَضْحَى إلـى أَعْلـى السَّمَاواتِ يَعْتلِـي

فَنُـوديَ أنَّـا قَـدْ أردْنَـاك فـاقتربْ ** لَـكَ الجَـاهُ مِنَّـا والقَبـولُ فأقْبِـلِ

رأى الآيـةَ الكُبـرى فثبتَـهُ فلَـمْ ** يـزغْ بصـرٌ عـن رؤيـةِ الحـقِّ إذْ جُلـي

فحَـلَّ مَقَامَـاً لَـمْ يقُـمْ فِيْـهِ غَيْـرُهُ ** لقـدْ جَـلَّ فـافْهَمْ سِـرَّ مَعْنَـاهُ واعْقِـلِ

ويقول مادحاً (١٩٩):

إلـى نَبِـيٍّ رأى مـا قَـدْ رأى مَلَـكٌ ** وقـام حيـثُ أَمِـينُ الْـوَحْي لَـمْ يَقُـمِ

جاء الحديث عن الإسراء إلى المسجد الأقصى ، والمعراج إلى السماء في سور: الإسراء ، والنجم ، والتكوير، وقد كان مجملاً جاءت الأحاديث مفصلةً ومبينةً لتلك الرحلة ، يقول تعالى : " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ" (٢٠٠).

إنّها أيةٌ عظيمةٌ بيَّنت الإسراء والمعراج ، والهدف منهما ، ويأتي ذكر ذلك في سورة النجم في قوله تعالى : " مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى {١٧} لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى " (٢٠١).

رحلة إيمانية بيَّنت مكانته – عليه الصلاة والسلام – عند ربِّه ، وأهميَّة الصلاة التي فُرضت على المسلمين في تلك الرحلة ، رحلة رأى فيها ما سمح الله له برؤيته " ما زاغ البصر وما طغى " وابن جابر يشير إلى ذلك بقوله " فلم يزغْ بصرٌ عن رؤية الحقِّ إذ جُلي " ، فحديث ابن جابر عن هذه القصة القرآنية العظيمة جاء مباشراً . في حديثه عن صفات رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لبيان مكانته ، وما امتاز به تذكيراً لمكانته ، وبياناً لها في قلوب المسلمين المشتاقين إلى زيارة قبره طلباً لمرضاة الله .

كما جاء ذكر قصة الهجرة ، وما حدث فيها من معجزات تأييداً لصدق نبوته – صلى الله عليه وسلم ، يقول في ذلك ابن جابر (٢٠٢) :

أَلَـمْ يُلْهِـمِ اللهُ الحَمَـامَ فَعَشَّشَـتْ ** لَـدَى الغَـارِ حَتَّـى رَدّ أَعْـدَاءَهُ رَدَّا

ومـا لـت عليـه الـدَّوح والعنكبـوتُ قَـدْ ** أتـاهُ فسـدَّ الغـارَ بالنَّسْـجِ إذ سَـدّا

ويشير إلى ذلك في حديثه عن فضائل أبي بكر الصديق ، رفيق الهجرة ، قائلاً (٢٠٣) :

وصَـاحِبُهُ فـي الغَـارِ إذْ قـال لا تَخَـفْ ** فثالثُنَـا ذو العَـرْشِ أوْثَـقُ مُنْجِـدِ

فَسَـدَّ علـى المُخْتـارِ مَخْـرجَ حَيَّـةٍ ** هنـاكَ برجـلٍ منْـهُ فـازتْ بأسـعَدِ

وفيــه وفــي خَيْــرِ الأَنَــامِ تَسَــامَعواً ** بِمكَّــةَ صَــوتَ الهَــاتِفِ المُتقصِّــدِ:

جــزى اللهُ رَبُّ النَّــاس خيــرَ جزائِــهِ ** رفيقــين حَــلاَّ خَيْمَتَــي أُمِّ مَعْبَــدِ

هذه القصة جاءت إشارات لها في كتاب الله تتحدث عنها مباشرةً ، أو إشارةً لمرحلةٍ من مراحلها ([٢٠٤]) ، ومن أهم أحداث الهجرة ما حدث في غار ثور ، والذي أشار الله إليه في قوله تعالى : " إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " ([٢٠٥]) . وهذه الإشارة جاءت مباشرةً تصف تلك المكانة .

كما يشير ابن جابر إلى قصة أخرى في حياته – صلى الله عليه وسلم – وهى حادثة الإفك التي جاء فيها قرآن يُتلى مبرئاً أمَّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– إلى يوم القيامة . جاءت الإشارة إليها في شعر ابن جابر في قوله ([٢٠٦]) :

وصِــهْرُ رَسُــولِ اللهِ وابنتُــهُ التــي ** يبرئُهــا نَــصُّ الكِتَــابِ المُمَجَّــدِ

كان الحديث عن فضائل الصديق – رضي الله عنه ، ومكانته من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهو صهره ، وابنته أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – التي برَّأها القرآن الكريم مما رماها به المنافقون قديماً وحديثاً ، وقد وُفِّق شاعرنا في قوله " يبرئُها " وجعل الفعل مضارعاً ؛ لبيان أن من يقول إفكًا تجاهها – رضي الله عنها – يأتي القرآن مبرئاً راداً عليه في كل زمانٍ ومكان ، فإفك المنافقين مستمرٌ ، وتبرئةُ الله لها في القرآن مستمرةٌ ، ومن حكمة الله أن جعل البراءة لها قراناً يُتلى حتى قيام الساعة ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ {١١} لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ {١٢} لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ {١٣} وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {١٤} إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ {١٥} وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ {١٦} يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {١٧} وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {١٨} إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {١٩} وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ " ([٢٠٧]) .

ثم يتحدث ابن جابر عن حادثة الإفك مبيناً حقيقة من يخوض في عرضها – رضي الله عنها – قائلاً [٢٠٨]:

فـإنْ سَـبَّ أُمَّ المـؤمنين بِمَـا بِـهِ ** بَرَاءَتُهَـا جَـاءَتْ فألْحَـدُ مُلْحِـدِ

فيُقْتَـلُ إجْمَاعَـاً لِتَكْذِيْبِـهِ لِمَـا ** بِـهِ وَرَدَ القُـرْآنُ أَوْضَـحَ مَـوْرِدِ

فَنَحْمَـدُ ربّـاً قَـدْ وقَانَـا مِـنَ الـرَّدَى ** وبرَّأنَـا مِـنْ قُـبْحِ هـذا التَّـورُّدِ

بين عقيدته في آل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم ، كما بيَّن كذب مَن يدعي حُبَّ أل البيت ، ويتقرب بسبِّ أمهات المؤمنين ، وأصحاب رسول الله ، وأنَّه مُلْحِدٌ يجب قتله .

ومن القصص الواردة في شعره ، وقد جاء الحديث عنها في القرآن الكريم ، معركة بدر ، يقول([٢٠٩]) :

ومـا زالَ بـيْنَ المـاءِ والظِّـلِّ سَـيْرُهم ** إلـى أَنْ تَـولَّى يـومُهم فَـرأوا بَـدْرا

وبالعُـدوةِ الـدُّنيا نَزَلْنَـا بحيـثُ قَـدْ ** أَقَـامَ رَسُـولُ اللهِ ينْتَظِـرُ النّصْـرَا

بحيـثُ حَمَـى اللهُ الهـدى بنبيـهِ ** وأصـحابهِ الأَخْيـارِ حتَّـى مَحَـا الكُفْـرا

مَصَـارِعُ أَهْـلِ البَغْـي قـال أراهـمُ ** فكـانَ كـذاكَ الأَمْـرُ إذْ عَظُمـوا إمْـرا

حتى يقول :

وأَقْبَـلَ جِبْريـلُ الأَمِـينُ بِجُنْـدِهِ ** فلمَّـا رأى الشّـيطانُ مـا قَـدْ رأى فَـرّا

ويقول في قصيدة أخرى متحدثاً عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر : ([٢١٠])

بـدا يـومَ بَـدْرٍ وهـو كالبـدْرِ حَولـهُ ** كواكِـبُ فـي أُفْـقِ المَواكِـبِ تَنْجَلـي

وجِبْريـلُ فـي جُنْـدِ الملائـكِ دُونَـهُ ** فَلَـمْ تُغْـنِ أَعْـدادُ العَـدوِ المُخـذِّلِ

تحدث ابن جابر عن المعركة في المقطع الأول ، متذكراً النصر العظيم عندما وصل إلى بدر في طريقه إلى الحج سارداً ما دار في تلك المعركة مما جاء في كتاب الله أو سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وقد أشار شاعرنا إلى ما جاء في القرآن في قوله تعالى : " وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {١٢١} إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ {١٢٢} وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {١٢٣} إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ {١٢٤} بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ {١٢٥} وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {١٢٦} لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ {١٢٧} لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ " ([٢١١]) ، وقال تعالى في سورة أخرى : " وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ " ([٢١٢]) ،

وقال تعالى في سورة أخرى : " وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ {٧} لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ " ([٢١٣]) ، ويقول تعالى : " فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّـهَ رَمَى " ([٢١٤]) ، فهذه المعاني الواردة في القرآن الكريم وغيرها مما ورد في صحيح السنة المطهرة أشار إليها ابن جابر ، وقوله " فكان كذاك الأمر إذ عظموا إمْرا " يستدعي قصة أخرى في القرآن الكريم ، فكلمة " إمرْا " تأخذ الذاكرة إلى قوله تعالى : " فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا " ([٢١٥]) .

فكلمة " إمرْا " أي عظيماً ، ومنكرا شديداً ، وأمراً عجبا في السِّياقين ، لجأ شاعرنا إلى هذه الكلمة " إمْرا" لتؤدي المعنى المقصود والوصف اللائق بكفار قريش ، وبيان مصارعهم على أرض بدر ، كما في مجيء ، كلمة " إمْرَا " لمسةٌ بلاغيةٌ بديعيَّة هي الجناس بين (الأمر ، إمْرا) في قوله : " فكان كذاك الأمر إذ عظموا إمْرا " .

وقد سبق تأييد الله لنبيه – صلى الله عليه وسلم – بالملائكة مقاتلين كما في الآيات السابقة ، ثم أشار شاعرنا إلى موقف إبليس الذي انتحل شخصية سُراقة بن مالك المدلجي ، الذي رأى نزولَ الملائكة ، والنصرَ العظيم لدين الله ، فما لبث أن فرّ من أرض المعركة حتى ألقى بنفسه في البحر ، قال ابن جابر " فلما رأى الشيطانُ ما قدْ رأى فرّا " ، والله يخبرُنا بذلك في كتابه في قوله تعالى : " وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ "([٢١٦]) .

إنَّهُ النَّصرُ العظيمُ يومَ الفُرْقان أيدَّ اللهُ نبيَّه بالملائكة تقاتل معه ؛ لذلك نجد ابنَ جابر يعيد هذا المعنى في القصيدتين ؛ لأن ذلك شرف لرسوله وللمؤمنين ([٢١٧]) .

ويتحدث ابن جابر عن مكة وأهلها مشيراً إلى قصة أبرهة الحبشي ، قائلاً ([٢١٨]) :

بــهِ شــرَّف اللهُ الأَبَــاطحَ مِــنْ مِنــىً ** ومكّـةَ واستدعى إلـى قصـدِها الضُّـمْرا

وأمَّــن يــومَ الفيــلِ خيفــةَ أهلِهَــا ** ورَدّ بخُسْــرٍ مَــنْ أراد بهــا شَــرًّا

ولــولاهُ لَــمْ يجْعــلْ بمكــةَ بيتَــهُ ** وأجرى بها من مَاءِ زمزم ما أجْرى

فبَكَّــتْ رِقَــابَ المُشْــركين فَسُــمِّيَتْ ** ببكّــةَ لمَّــا أهْلَكَــتْ مَــنْ نَــوى مَكْــرَا

كان الحديث في مديح أهل مكة قوم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنَّ الرسول – عليه الصلاة والسلام – شرفٌ شرَّف اللهُ به مكّة ، واستدعى الله الضُّمَّر من الإبل لقصدها حجًا أو عُمرةً ، وهذا استدعاء لقوله تعالى : " وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ " ([٢١٩]) ، ثم يشير إلى حادثة تاريخيَّة حدثت لمكة ، وأهلها ، جعَلها

العرب تأريخًا وحدًّا فاصلاً إنها حادثة الأحباش وعلى رأسهم أبرهة الحبشي الذين جاءوا لهدم بيت الله تتقدمهم الفيلة فردَّ كيدهم ، وأهلكهم ، قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ {١} أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ {٢} وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ {٣} تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ {٤} فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ " (٢٢٠) ، وقال تعالى مبيناً حرمة الحرم وتعظيمه " وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ " (٢٢١) .

وقد جعل ابن جابر ما في مكة من أمن وأن الله اختارها لبيته ، وماء زمزم ببركات نبيه – عليه الصلاة والسلام ، ثم يذكر اسماً من أسماء مكة ألا وهو بكّة ، وهذا الاسم يستدعي قوله تعالى " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ " (٢٢٢) .

فحديث ابن جابر عن قصة الفيل ، وإيراد بعض الألفاظ المحيلة إلى كتاب الله كان من تأييد المعنى ، والفكرة التي يتناولها ، وتظهر من خلال ذلك ثقافته الدينيَّة .

وبالطريقة نفسها يشير ابن جابر على ما تفعله الأيام من تقلبات بأمر الله في أحوال الأمم ، والأفراد ، مشيراً إلى أُممٍ أورد الله قصصهم في كتابه العزيز، من ذلك قوم سبأ ، وعاد ، وفرعون ، يقول ابن جابر (٢٢٣):

عَجِبْتُ للأيامِ مَنْ عَزَّ بِهَا ** ذَلّ ومَنْ يَضْحَكْ بِهَا يَوْماً بَكَى

ثم يقول :

وكَمْ سَبَتْ عَنْ سَبأ مِنْ نِعْمَةٍ ** فَمُزِّقُوا في كُلِّ قَفْرٍ وفَلا

يشير إلى قصّة سبأ – من أهل اليمن – في القرآن الكريم الذين سُمِّيتْ السورة باسمهم ، قال تعالى : " لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ {١٥} فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ {١٦} ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ {١٧} وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ {١٨} فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ"(٢٢٤) .

هذا نتيجة كفران النعمة ، وعدم الشكر للمنعم ، أصبحوا " أحاديث " أي قصص تُتداول في المجالس ، تمزَّقوا ، وتفرَّقوا في الأرض ، ولا يخفى موقع الجناس " سَبَتْ ، سَبَأ " والسَّبي أخذ كلّ شيء .

ويتحدث عن أُمَّةٍ أخرى تردد ذكرها – كثيراً – في القرآن ، قائلاً :

وأَهْلَكَتْ عَاداً وأَفْنَتْ جُرْهُمَاً ** وزوَّدت مِنْهَا تَمِيْمَاً بالصَّلى

قوم عاد الأقوياء الشداد ، زال عنهم كل ما يملكون ، قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ {٦} إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ {٧} الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ " (٢٢٥) طغوا وتجبروا وتكبروا ، قال تعالى : " فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ {١٥} فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ " (٢٢٦) .

ثم ذكر فرعون وقومه ، قائلا :

فِرْعَونَ مُوسى أَوْ لَجَتْ في لُجَّةٍ ** فمَاتَ غمَّاً بَعْدَ عِزٍّ وعُلا

فرعون الذي وصفه الله بقوله : " وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ " (٢٢٧) أي : صاحب الجنود ، والجيوش التي بها يشد ملكه . ولا يخفى جمال الجناس المناسب للعذاب " أَوْلجَتْ – لُجَّة " ، ووصف الغرق بالغمِّ صورةٌ لا تخفى دلالتها، حيث جعل المحسوس معنويا .

أُمَمٌ اتصفت بالطغيان والفساد ، فكان عاقبتهم العذاب ، والزوال ، جاء ابن جابر بهذه القصص في ثوب النُّصح ، والتأمل ، والتفكر في تقلبات الأيام بأمره سبحانه " كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ " (٢٢٨) .

ويشير ابن جابر إلى قصة نبي من أنبياء الله من أُولي العزم ، في قوله (٢٢٩) :

ولكنَّني أَخْشَى إِذَا بُحْتُ باسمِ مَنْ ** أَهِيْمُ بهِ أنِّي أَزِيْدُ الحَشَا وقْدَا

فَلَوْ يَتَجَلَّى ذِكْرُهُ لِمَسَامِعِي ** على طُوْرِ قَلْبي دَكَّهُ الوَجْدُ فانْهَدّا

في هذين البيتين يوظِّف ابن جابر قصةً عظيمةً لكَلِيم الله موسى – عليه السلام – مع الله – عز وجل – قال تعالى : " وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ " (٢٣٠) .

وظّف ابنُ جابر هذه القصة في بيان وجْدِهِ ، وحنينه لمحبوبه الذي إذا ذكر اسمه وباح به ازدادت نيران حُبِّه ، وأشواقه اتقادا ، أما ولو تحققت من ذلك المحبوب الزيارة ، والقرب ، والتجلي ، فإن القلب لسماع اسمه من غيره سيُصيب قلبه – الذي مثل الجبل صلابةً ومنعةً وثباتاً– بالدَّكِّ والهَدِّ ، وظّف ابن جابر هذه الصورة ؛ لبيان مكانة ذلك المحبوب ، وما يُحدثه في حياته ، كما كان اشتياق نبي الله موسى – عليه السلام – لربِّه ، وعدم استطاعته تحمل تلك الرؤية التي دكَّت الجبل ، فلما رأى ذلك موسى – عليه السلام – خرّ صعقا.

وأخيراً :

استعان ابنُ جابر الأندلسي بالثَّراء القرآني الذي يمدُّه به القرآن الكريم في مجالات التوظيف المتعددة متداخلاً مع النص القرآني – نتيجة ثقافته القرآنية والتاريخيَّة – استلهاماً وتوظيفاً لبعض التراكيب في نسيج القصيدة ، مكثفاً ذلك استجابةً للوزن الشعري . كما كان لمّاحًا إلى حقائق قرآنية جاءت في شعره مُستنبَطةً من القرآن خاصةً حديثه عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وصفاته .

لقد كان القرآن الكريم حاضراً في ذهن ابن جابر يرنو إليه بفكره ، يغترف من ذلك الكنز بوعي وفنيّة ؛ مما يجعله يُرصّع شعره بتلك الألفاظ ، والمعاني ، والتراكيب ، والصُّور ، بعد أن أعاد التشكيل الشعري ، والمزج التصويري ، فازداد إبداعه إشراقاً وجمالاً ؛ لأن النص يضم بين أضلاعه نصوصاً راقيةً مهضومةً أودعها في نسيج عمله الفني ، مما جعل ذلك كلّه يؤثر في المتلقي .

هوامش البحث

---

[١] . المقري : أحمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ت / إحسان عباس ، دار صادر ، ١٩٦٨م ، ٦٦٤/٢ . ، ٣٨/١ . " الحاشية " . مع ذكرٍ لبعض مصادر ترجمته من قِبل المحقق الدكتور / إحسان عباس .

[٢] . الزِّركلي : خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ١٦ ، ٢٠٠٥م ، ٣٢٨/٥ . مع ذكر لمصادر ترجمته في حاشية الأعلام . والبيرة: بيرة جك جنوب تركيا في ديار بكر .

[٣] . الأندلسي : ابن جابر ، شعر ابن جابر الأندلسي ، ت / د. أحمد فوزي الهيب ، دار سعد الدين ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص ٩ .

[٤] . انظر السابق : ٨ ، ٩ .

نقلاً عن كتاب كنوز الذهب في تاريخ حلب ، لسبط ابن العجمي ، تحقيق / شعث وآخر ، دار القلم العربي ، حلب ، ١٩٩٦م ، ٤٦٩/١ ، وقصيدته الرثائية في شعرا بن جابر ، ص ١٨ –٢٢.

[٥] . حققها الدكتور / علي أبو زيد ، طبعة عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

[٦] . حققها الدكتور / أحمد فوزي الهيب ، طبع في دمشق ، دار سعد الدين ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

[٧] . طبع بدمشق بتحقيق الدكتور / أحمد فوزي الهيب ، ط١ ، دار سعد الدين ، عام ٢٠٠٨م .

[٨] . ابن منظور : محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ت / الكبير ، وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ، مادة " قبس " .

[٩] . القزويني :جلال الدين ،الإيضاح في علوم البلاغة ' ت/عبد القادر حسين ' مكتبة الآداب 'القاهرة 'ط١'١٩٩٦م' ص٤٦٧.

[١٠] . عن التناص انظر مثلاً : الزعبي ، أحمد ، التناص نظرياً وتطبيقياً ، مكتبة الكتاني ، إربد ، الأردن ، ط١ ١٩٩٥م ، ص١٥ .

[١١] . العاني : محمد شهاب ، أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة ، الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤.

[١٢] . الأندلسي : ابن جابر محمد بن أحمد الضرير ، شعره ، صنعه الدكتور / أحمد فوزى الهيب ، دار سعد الدين ، دمشق ، ط١ ،٢٠٠٧م ، ص٣٥ .

[١٣] . سورة النحل : ٩٦ .

[١٤] . شعره : ٤٣.

[١٥] . سورة الحج : ٧٨

[١٦] . شعره : ٧٧ .

[١٧] . سورة غافر : ٢

[١٨] . شعره : ٧٩- ٨٠ .

[١٩] . سورة الأنفال : ٤٢ .

[٢٠] . شعره : ٨٦-٨٩ .

[٢١] . يقصد سورة المؤمنون ، والنور ، والفرقان . وقبلها ذكر سورة الإسراء مشيراً إليها بقوله " سبحان الذي " .

[٢٢] . سورة الجمعة ، والمنافقون .

[٢٣] . أول سورة الشرح .

[٢٤] . شعره : ٩٠ .

[٢٥] .سورة المؤمنون : ١٤

[٢٦] . سورة النمل :٨٨.

[٢٧] . شعره : ٩٣ .

[٢٨] . سورة فصلت : ٢٦ .

[٢٩] . شعره :١١٠ .

[٣٠] . سورة الحشر : ٩ .

[٣١] . شعره : ١١٤ .

[٣٢] . سورة الطلاق : ٣ .

[٣٣] . شعره : ١٣٨ .

[٣٤] . سورة النجم : ٥ ، ٦

[٣٥] . شعر ابن جابر : ١٤٩ .

[٣٦] . سورة المؤمنون : ٩٦ .

[٣٧] . سورة فصلت " ٣٤ .

[٣٨] . شعر ابن جابر : ١٧٦ ، والظليم : ذكر النعام ، ولعا : دعاء للعاثر أن يقوم من عثرته .

[٣٩] . سورة الرعد : ١٣ .

[٤٠] . شعر ابن جابر : ٣٢ .

[٤١] . السابق : ٣٨ .

[٤٢] . السابق : ١٠٠ .

[٤٣] . السابق :١١٨ .

[٤٤] . السابق : ١٤٠ .

[٤٥] . السابق : ١٤٣.

[٤٦] . سورة القمر : ١ .

[٤٧] . السابق : ٣٩ .

[٤٨] . سورة آل عمران : ١٢٣– ١٢٥ .

[٤٩] . شعره : ٤٣ .

[٥٠] . العسقلاني : ابن حجر ، فتح الباري ، ت / محمد فؤاد عبد الباقي ، وآخر ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ ، ٥٧/٤ .

[٥١] . سورة النحل : ١٦.

[٥٢] .. شعره : ٤٤.

[٥٣] . سورة الفتح : ٢٩.

[٥٤] . شعره : .٤٧

[٥٥] البغوي : الحسين بن مسعود، معالم التنزيل ، ت / محمد النمر وآخرين ، دار طيبة ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ ، ٢٣٨/٢ – ٢٣٩ .

[٥٦] . سورة الأنفال : ٦٧ .

[٥٧] . القرطبي ، محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، طبعة دار الكتب المصرية ، ط١ ، ١٩٣٤ : ١٠١/٢–١٠٢،وفي رواية مسلم ، وفي أسارى بدر ، نفسه :١٠١/٢ .

٥٨ . سورة الأحزاب : ٥٣ .

٥٩ . سورة البقرة : ١٢٥ .

٦٠ . شعره : ٩٤ .

٦١ . سورة الإسراء :٧٧ .

٦٢ . شعره : ٩٧ .

٦٣ . سورة إبراهيم :٧ .

٦٤ . شعره : ٩٧ .

٦٥ . سورة البقرة : ٦١ .

٦٦ . شعره : ٩٨.

٦٧ . سورة الزخرف :٣٢ .

٦٨ . شعرة :١٠٠ .

٦٩ السابق . ١١٩ .

٧٠ . سورة الملك :٥ .

٧١ . سورة الصافات : ١٠ .

٧٢ . سورة الحجر : ١٨ .

٧٣ . شعره : ١٠٨ .

٧٤ . سورة الأعراف : ١٤٥ .

٧٥ . سورة يوسف :١١١ .

٧٦ . سورة الأعراف : ٥٢ .

٧٧ . سورة النحل : ٨٩ .

٧٨ . شعره : ٣٣ .

٧٩ . سورة الأنعام : ٥٧ .

٨٠ . سورة التوبة : ٤٠ .

٨١ . شعره : ٣٨ .

٨٢ . سورة الأنفال : ٦٢-٦٣ .

٨٣ . شعره : ١٠٨ .

٨٤ . السابق :١١٥ .

٨٥ . سورة البقرة : ١٤٦ .

٨٦ . القرطبي ، معالم التنزيل : ١/١١٩-١٢٠ .

٨٧ . سورة الصف : ٦ .

٨٨ . شعره : ١٠٨ .

٨٩ .السابق . ١١٥ .

٩٠ . سورة البقرة : ١٤٣ .

٩١ . سورة النساء : ٤١ .

٩٢ . شعره : ١١٥ .

٩٣ . سورة سبأ : ٢٨ .

٩٤ . سورة الأعراف : ١٥٨ .

[٩٥] . سورة الأعراف :١٥٧.

[٩٦] . سورة التغابن : ٨ .

٩٧ . شعره : ٣٣ .

٩٨ . شعره : ٣٨

٩٩ . شعره : ١١٥ .

١٠٠ . السابق : ١٧٥

١٠١ .السابق : ١٢٠

١٠٢ . سورة الأنبياء :١٠٧.

١٠٣ . سورة التوبة : ١٢٨ .

١٠٤ . شعره : ١١٥.

١٠٥ . سورة التوبة : ١٢٨ .

١٠٦ . شعره : ١٣٧ .

١٠٧ . السابق : ١٤٦ .

١٠٨ . سورة الأحزاب : ٤٠ .

١٠٩ . شعره : ١١٠ .

١١٠ . سورة الحج : ١٩ .

[١١١] . سورة النحل : ٨١.

١١٢ . شعره :١١٩ . وانظر – كذلك – ص : ١٠٧ " نفسه " .

١١٣ . صحيح مسلم ، ت / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت ، ١ /١٨٥ .

١١٤ . شعره : ١١٩

١١٥ . صحيح البخاري ، ت / البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ٥ / ٢٤٠٩ .

١١٦ . سورة الكوثر : ١ .

١١٧ . شعره : ١٣٨ .

١١٨ . السابق : ١٧٥ .

١١٩ . سورة ص : ٧١ .

١٢٠ . سورة الصافات : ١١ .

١٢١ . سورة الحجر : ٢٦ .

١٢٢ . سورة الرحمن : ١٤ .

١٢٣ . شعره : ١٣٨ .

١٢٤ . سورة المائدة : ٧٨ .

١٢٥ . شعره : ١٦٨ .

١٢٦ . سورة فصلت : ٣٤ .

١٢٧ . سورة المؤمنون : ٩٦ .

١٢٨ . شعره : ١٧٢ .

١٢٩ . سورة الأنفال : ٣٣ .

١٣٠ . شعره :١٧٩ .

١٣١ . سورة الفجر : ٢٠ .

١٣٢ . شعره : ١٨٢ .

١٣٣ . سورة الأعراف : ١٩٩ .

١٣٤ . شعره : ١١٥ .

١٣٥ . سورة سبأ : ٢٨ .

١٣٦ . سورة فصلت : ٤ .

١٣٧ . سورة البقرة : ١١٩ .

١٣٨ . سورة فاطر : ٢٤ .

١٣٩ . شعره : ٤١ .

١٤٠ . سورة آل عمران : ١٠٦ .

١٤١ . سورة عبس : ٣٨ – ٤٢ .

١٤٢ . شعره : ١٩ .

١٤٣ . ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، ٤١٥/١ . مادة " تبب " .

١٤٤ . سورة غافر : ٣٧ .

١٤٥ . سورة المسد : ١

١٤٦ . بالأندلس : مدينة محدثة أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر الدين لله سنة ٣٤٤هـ على البحر الأبيض المتوسط ، انظر " " الروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد بن عبد المنعم الحِمْيَري ، ت / إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص ٥٣٧-٥٣٨ .

١٤٧ . شعره : ٢٤ .

١٤٨ . سورة طه : ١٧

١٤٩ . شعره : ٤٣

١٥٠ . سورة الأنعام : ٩٠

١٥١ . سورة الزخرف : ٢٣ .

١٥٢ . شعره : ١٠٧ .

١٥٣ . سورة الجاثية : ٢٨ .

١٥٤ . شعره : ١١٥ .

١٥٥ . سورة التكوير : ١٩-٢١ .

١٥٦ . شعره : ١٣١ .

١٥٧ . آخر مملكة في الأندلس حكمت من ٦٣٦ – ٨٩٧هـ . جعلت غرناطة عاصمةً لملكهم .

١٥٨ . سورة عبس : ١ ، ٢

١٥٩ . شعره : ٨٥ .

١٦٠ . الألباني : محمد ناصر الدين ، ضعيف الجامع الصغير وزياداته ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٠م ، ص ٨٠٨ .

١٦١ . سورة الزّمر : ٧١ – ٧٣ .

١٦٢ . شعره : ٣١ .

١٦٣ . سورة الضحى : ١- ٣ .

١٦٤ . شعره : ٣٨

١٦٥ . السابق : ١٦٧.

١٦٦ . سورة المائدة : ٦٤ .

١٦٧ . شعره :١٠٠. وهذا القول بأن حمام الحرم أصله تلك الحمامتين ورد عند السيوطي ، ولا أصل له .

١٦٨ . سورة الجن : ١٣ .

١٦٩ . شعره : ٩٩ .

١٧٠ . تفسيره : ٦٨٤/١ .

١٧١ . صحيح البخاري ، حديث رقم ١٧٧٧ ، طبعة الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ

١٧٢ . سورة البقرة : ٢٥٦ .

١٧٣ . سورة لقمان : ٢٢ .

١٧٤ .شعره : ١٧٧ .

١٧٥ . أي أصوات الإبل مجتمعة .

١٧٦ . سورة الحاقة : ١١ ، ١٢ .

١٧٧ . شعره : ١٨٠ .

١٧٨ . سورة فاطر : ٣٧ .

١٧٩ . سورة مريم : ٤

١٨٠ . شعره : ٦٢ .

١٨١ . سورة الفجر : ٢٧ –٣٠ .

١٨٢ . شعره : ٧٩ .

١٨٣ . السابق : ١٠٨ .

١٨٤ . سورة البقرة : ٢٣

١٨٥ . سورة يونس : ٣٧ .

١٨٦ . سورة مريم : ٩٧

١٨٧ . هي البيعة التي تمت في الحديبية ، وقد أثنى الله على المبايعين فيها لرسول صلى الله عليه وسلم .

١٨٨ . شعره : ١١٠ .

١٨٩ . سورة الفتح : ١٨ .

١٩٠ . سورة النجم : ١: ٤

١٩١ . سورة النجم : ١–٤

١٩٢ . شعره : ١٤٥ .

١٩٣ . سورة النحل : ٤١ .

١٩٤ . سورة التوبة : ٢٠ –٢٢ .

١٩٥ . شعره : ٣٢ .

١٩٦ . السابق : ١٠٩ .

١٩٧ . السابق :١١٥

١٩٨ .شعره : ١١٩ .

١٩٩ . السابق : ١٤٠.

٢٠٠ . سورة الإسراء : ١

٢٠١ . سورة النجم : ١٧ –١٨

٢٠٢ . شعره : ٣٨ .

٢٠٣ . السابق : ٤٤ .

٢٠٤ . ينظر : أبو غزلة : محمد عقلة (دكتور) ، منظومة الهجرة النبوية في القرآن الكريم ، دراسة تأصيلية موضوعية تحليلية ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، ط١ ، ١٤٣٢هـ .

٢٠٥ . سورة التوبة : ٤٠ .

٢٠٦ . شعره : ٤٤ .

٢٠٧ . سورة النور : ١١–٢٠

[٢٠٨] . شعره : ٦٥.

٢٠٩ . شعره : ٧٩- ٨٠.

٢١٠ . السّابق : ١١٦-١١٧ .

٢١١ . سورة آل عمران : ١٢١-١٢٨ .

٢١٢ . سورة الأنفال : ٧-٨ .

٢١٣ . سورة الأنفال : ٦٠

٢١٤ . الأنفال : ١٧ وانظر سورة الحج : ٣٩ – ٤١ .

٢١٥ . سورة الكهف : ٧١

٢١٦ . سورة الأنفال : ٤٨ .

٢١٧ . للمزيد حول معركة بدر ، يُنظر : الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية ، تأليف / صفي الرحمن المباركفوري ، دار المنهاج ، جدة ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ، ص ٢٤٨ – ٢٧٩ .

٢١٨ . شعره : ٨٤ .

٢١٩ . سورة الحج : ٢٧ .

٢٢٠ . سورة الفيل : ١-٥

٢٢١ . سورة الحج : ٢٥ .

٢٢٢ . سورة آل عمران : ٩٦

٢٢٣ . شعره : ١٧٠ ، ١٧٢ .

٢٢٤ . سورة سبأ : ١٥ – ١٩ .

٢٢٥ . سورة الفجر : ٦ – ٨

٢٢٦ . سورة فصلت : ١٥-١٦

٢٢٧ . سورة الفجر : ١٠ .

٢٢٨ . سورة الرحمن : ٢٩ .

٢٢٩ . شعره : ٣٧ .

٢٣٠ . سورة الأعراف : ١٤٣ .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- الألباني : محمد ناصر الدين ، ضعيف الجامع الصغير وزياراته ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٠ م .
- الأندلسي : ابن جابر ، شعر ابن جابر الأندلسي ، ت / د . أحمد فوزي الهيب ، دار سعد الدين ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- البخاري : محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، ت/ البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ
- البغوي : الحسين بن مسعود ، معالم التنزيل ، ت / د. محمد النمر ، وآخرين ، دار طيبة ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ .

- ابن الحجاج : مسلم ، صحيح مسلم ، ت / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت .
- الحِمْيَري : محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ت / إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤م .
- الزُّعبي : أحمد ، التناص نظرياً وتطبيقيا، مكتبة الكتاني ، إربد ، الأردن ، ط١ ، ١٩٩٥م .
- العاني : محمد شهاب ، أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة ، الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٢ .
- العسقلاني : ابن حجر ، فتح الباري ، ت / محمد فؤاد عبد الباقي ، وآخر ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .
- أبو غزلة : محمد عقله ، منظومة الهجرة النبوية في القرآن الكريم ، دراسة تأصيلية موضوعية تحليلية ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، ط١ ، ١٤٣٢هـ .
- القرطبي : محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، طبعة دار الكتب المصريّة ، ط١ ، ١٩٣٤م.
- القزويني :جلال الدين ،الإيضاح في علوم البلاغة ' ت/عبد القادر حسين ' مكتبة الآداب 'القاهرة 'ط١'١٩٩٦م.
- المباركفوري : صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ، دار المنهاج ، جدة ، ط١ ، ١٤٢٦هـ .
- ابن منظور : محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ت / الكبير وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت .